بردية إيزيس

الكتاب: بردية ايزيس
المؤلف: أمونيوس سعد فهمى
تصميم الغلاف: توماس سعد
التصنيف: رواية
الناشر: كتبنا
رقم الإيداع: 10392 / 2020
الترقيم الدولى:978-977-6820-35-7

جميع الحقوق محفوظة

رقم الهاتف:

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة كانت إلا بإذن من المؤلّف أو النّاشر

بردية إيزيس

روايـــــة

تأليـف

أمونيوس سعد

أحاول أن أخرجها بأي طريقة، وفي كل مرة تعتصرني ألمًا، جربت كل الطرق، السهل منها والصعب، ولم تفلح أبدًا، ما زالت مصرة على البقاء، أعترف أنني أخطأت حينما حاولت إخراجها ليلة أمس، فقط كنت متألمًا ورأيت جلدي يذوب تحتها، لقد أصبح شاحبًا ثم اتخذ لونًا أبيضًا، وحينما كنت أحركها قليلًا جدًا (فلم أكن أستطع أن أحركها إلا واحد سنتيمتر فقط)، أرى فتاتًا يسقط من جلدي ليظهر ذلك اللون الوردي، يؤلمني بشدة وأخشى أن يسيل الدم بعدها، فما كان مني إلا أن أخرجتها من هنا إلى هنا، وربتُّ على جلدي المشقوق أحنو عليه من غدرها، ربما طال بقاؤها أو أنني ازدت وزنًا فأرادت أن تنتقم مني وتعاقبني على هذا بقوتها، ولماذا يا عزيزتي كل هذا؟ كان يجب أن تكوني أكثر مرونة، ولكن معدنك الثمين لا يسمح لك بهذا، فالذهب صلبًا بطبيعته، أرسلت جفوني للنعاس هذه الليلة وأنا أدرك تمامًا أنني في الصباح لابد أن أعيدها مرة ثانية إلى يساري؛ لأنه إذا رأتها زوجتي بيميني ربما تسبب لي المتاعب ولن تصدق أبدًا أنني أخرجتها لأريح إصبعي قليلًا فسأسمع الكثير من الكلمات التي لا أود أبدًا أن أسمعها ولا تود أنت قراءتها.

والآن أحاول أن أخرج هذه الدبلة اللعينة، وفي كل مرة تعتصرني ألمًا، جربت معظم الطرق السهل منها والصعب، ولم تفلح أبدًا، مازالت مصرة على البقاء، تحركت في الغرفة جيئة وذهابًا، ذهبت إلى الحوض لأستعمل الصابون لأنها تضغط على عظم عقلة إصبعي تؤلمني بشدة يا ليتني ماكنت نقلتها، لا أعرف متى ازددت وزنًا هكذا أم أن خنصري اليمين أغلظ من اليسار، ويحي إن رأتني زوجتي هكذا لن يمر اليوم عاديًا، من فضلك عزيزتي اخرجي لقد كنت هنا من زمن بعيد ولأكثر من عامين

ووقتها قلت لك كفا عليك وللأبد ستكونين هنا في اليسار ماذا حصل؟ أحن قلبك الآن لأيام الخطوبة؟

ويحي لن تصدقني زوجتي أبدًا ستقول عني أني فعلت ذلك لأجذب النساء إلي، ولن يخطر أبدًا ببالها أن النساء لا تبالي أبدًا بذلك الكرش الذي يتقدمني.

أقول هذه الأفكار وانا أحاول إخراجها من إصبعي، إن الكلمات مقرونة بالألم، أجز على أسناني ويحتقن حلقي ويحمر وجهي وأشد على أعصابي، كدت أن أبكي، لا فقط لألم إصبعي بل للذي ينتظرني حينما تراني زوجتي، ربما أقطع إصبعي وأنتهي أو اكتفى بجملته: لا لن أفعل، علي أن أواجه المصير المحتوم الذي ينتظرني، وقلت بصوت عال داخل الغرفة: "علقة تفوت ولا حد يموت"، فاستيقظت زوجتي على هذا الصوت وهي مسروعة تظهر عليها علامات الدهشة والغرابة: "ماذا بك يا حبيبي لم تستيقظ مبكرًا؟"

"لا، لا يوجد شيء، فقط الدبلة انحشرت في إصبعي ولا أعرف كيف أخرجها"

"أرني يدك" فذهبت لأريها إصبعي والدبلة المنحشرة بها فنظرت إلي وهي تضع إصبعيها السبابة والإبهام على خدها وتسند ذقنها على باقي الأصابع وهي تقول: "وما الذي أتى بالدبلة في هذا الإصبع يا حبيبي؟"

سأترك لك الباقي عزيزي القارئ لتتخيله.

دخلت مكتبي بعدها وأضأت المصباح فوق المكتب لتتضح الرؤية غرفتي، هذه أعشقها وأحبها حبًا لا يوصف ولا يتكرر، أحبها إلى درجة تفوق الوصف ولا تجدي الكلمات نفعًا في التعبير عن عشقي هذا المكان؛

ففيها كتبي ومكتبتي ومكتبي ومعبدي ومرقدي، أسهر ليال طوال أتغذى بين صفحات الكتب الرائعة، لن أطيل عليك الحديث.

جلست وكان علي أن أقرأ لزامًا قصة من مخطوط قديم وذلك قبل أن أدرِّسها جيدًا لأبنائي من ممارسي الكشافة، أعرف أنه تدور في ذهنك أسئلة كثيرة مثل من أنا؟ ولماذا لزامًا علي أن أدرس هذه القصة؟ و ما هي الكشافة؟ وما علاقتي بها؟ والكثير والكثير.

فقط اترك نفسك لي لنسبح ونغوص في الرواية من أولها، دعني أولًا أقرأ لك هذه القصة من المخطوط القديم قصة بعنوان "آمون وهيلانة"

المخطوط – ممفيس - ١٧٥ ميلادية

صراع في ميدان عام يقاتل الجميع بعضهم بسيوف ورماح وأصوات وصراخ وغبار أتربة،

وفي وسط كل هذا أتسرسل من الميدان ومعي سيفي، أسير في خفة الفهد وأصطدم بهذا وبذاك، أضرب هذا وأضرب ذاك، لا شيء يعطلني عن طريقي، إلى أن وجدت الخيمة.. الخيمة التي تسكن فيها المحبوبة.. وفتحت ستر الخيمة.

فوجدت فتيات حسان ذات أشكال وألوان، بياضهن ناصع وما لهن ساطع، يشكلون دائرة لا عيب فيها، وفي وسطهن تجلس المحبوبة أميرتي الحسناء.

وما إن فتحتُ ستر الخيمة حتى نظرن كلهن إليَّ فهربت الفتيات سريعًا ولم يبق في الخيمة سوى الأميرة ذات الجسد المنوال والعود المصبوب، وتقدمتُ خطوة داخل الخيمة فهبَّت الفتاة واقفة، وهنا لا أستطيع أن أصف لك جمال الفتاة.

حقًا ما لم تره عين قبل ذلك.

جسدٌ ملفوفٌ مصفوفٌ، ودلالٌ مسطورٌ بصفوف.

وشعر مرسل على كتفيها، ذات خصلات مئات وألوف.

وجهها يشع نورًا، وقفتها وقفة غزال بشوش يضحك، يا لجمالها وحسنها!

وقفت وقالت لي: "كيف جئت إلى هنا وكيف دخلت خيمتي؟"

فقلت لها: "حنيني لكِ"، وهنا هتف قلبي أن يتقدم خطوة ناحيتها وقلت: "يا حبيبتي أنتِ فرحي وهنايَ وسعادة نفسي".

فقالت: "آاااه يا حبيبي هل أضناك الحنين إليَّ؟، هل أتعبك فراقي عنك؟ لماذا انتظرت طيلة الوقت؟ لماذا لم تأتِ باكرًا عن هذا؟".

"أأنتِ غاضبة على حنيني إليكِ؟ أم أنكِ غاضبة من مجيئي متأخرًا؟"

" لا تغضب مني يا حبيبي، فأنا أحبك ولا لوم على المحبين، فقط أشفق عليك لأن ...."

وحقيقة لم أعرف ماذا قالت بعد ذلك فمن الواضح أنني لم أسمعها، كنت أراها تتكلم وتبتسم وأحيانًا تتحرك جيئة وذهابًا يمنة ويسرة، وهي تتحدث بكلمات كثيرة لم أسمعها فلا أخبئ عليك سرًا، فمنذ أن قالت: "لا تلومني كثيرًا أنني أحبك" وأنا ذهبت مع ريح العشق في سحاب الحنين، عالم آخر أراها ولا أسمعها، أخذتني كلماتها، سحرتني ألفاظها.

كنت أراها تتحدث وتنظر في بعض الأحيان إلى الأرض في خجل ثم تشبك أصابع يديها ويحمر وجهها وهي تتكلم، هي تتكلم، أنا لا أسمعها، أنا في عالم آخر، عالم جميل تسبح فيه الطيور، تغرد فيه عصافير وكروانات، ما أجمل زهور هذا البستان الذي أراه! ما أجملها من فتاة تنطلق بين الورود كالغزلان تجري إثر بعضها! ...كنت في هذه الحالة حتى ظهر فجأة ذلك العزرائيل يلبس ثيابًا سوداء ويقف بيني وبينها.

وفجأة أفقت من أحلامي ومن خيالاتي هذه.

حتى أرى جثة تعلو الثلاث أمتار، يغلوها رأس بخوذة لها مثاريس وأقفال ووشاح أسود على كتفه وشفتين غليظتين كشفتي أبي الهول وصوت أشبه بصوت الغراب يقول: "ما هذا يا أحمق؟".

واختلط صوته بصوت آخر يشبه حذاء من نوع القبقاب، يرتطم بعظام إنسان، واكتشفت بعد ذلك أن تلك العظام هي عظام وجهي أنا، وان الحذاء الذي من النوع القبقاب هي يد الرجل ذات الثلاث أمتار.

حقًا لم أدرك هذه الحقيقة إلا وأنا ملقى بين أربعة جدران: ثلاثة منها تشبه بعضهم والرابعة عبارة عن باب حديدي به أسياخ في قمته من الواضح أنني في سجن.

فركت عيني حتى أفيق قليلًا، وأقوم لأجد ضوء قمر يأتي من شباك صغير مفتوح في هذا السجن.

شعرت بألم حاد في رأسي ودوار بسيط فوضعت كفي على عيني مغمضًا محاولًا أن أتذكر شيئًا،

تذكرت الميدان والخيمة والمحبوبة وتذكرت ذلك العزرائيل وا أسفاه إنه أبوها.

متى أشفي غليلي منه؟ هل سأخرج من هنا؟ قلت وأنا اصرخ مكررًا إياها كثيرًا بصوت عالٍ سأخرج من هنا!!!!!، "يا قوم، يا علية القوم، أخرجوني من حبسي".

حينما رد على الصمت ببرودته المعهودة جلست على الأرض يائسًا وأطرقت برأسي أرضًا وأنا أفكر، ولا يشجعني على الحياة سوى ضوء القمر المتسلل من الشباك الصغير فهو يذكرني بأول يوم رأيت فيه المحبوبة يوم كنت في معسكري بالجيش وكنت في نوبة الحراسة لكتيبتي وكانت ليلة قمراء بظلالها ونورها الساطع وكنت أجلس بمدخل الخيمة أكتب شعرًا ركيكًا وأتذكر ما كتبت:

النجوم نجوم، والقمر بدرًا

والليلة وحدي أعشق عشقًا
ليأتي محبوبي لا أرويه ريًا
وأريه البدر فيرويني حبًا

حقًا كانت عند تلك اللحظة و قتها لم يكن لي الحبيب الذي أكتب له هذه الكلمات ولكنها حالة حب، وبينما أنا أكتب شعرًا وجدت نورًا يجري نحوي من بعيد أتى من الظلام وأخذ يقترب ويقترب ي البدء ظننته عدوًا غريبًا فتحفزت ثم ظننته غزالًا فقلت في نفسى صيدًا سهلًا فغزال في رشاقته وخفته سيجعل من هذه الليلة أفراحًا، ومن هذا المعسكر ليالي ملاحًا، وسيسعد جنودًا ملقاة بالداخل منذ أيام، وحملت سلاحي مستعدًا لصيد الغزال -غنيمة لي ولجنودي- وحينما هدأ من سرعته بدلًا من أمد يدي إلى سلاحي مددت يدى إلى قرطاسي وقلمي ، فقد جاء وحي الشعر دون إنذار، فليس في طاقة يدي أن أفعل شيئًا سوى أن أكتب.

هذه ليلتي والليلة قمراء
وغزال يمرح وأنواره بيضاء
سأصطاده بسيفي ودماؤه الحمراء
ستسيل أرضًا على الرمال الصفراء

وألقيت بالقلم والبردي سريعًا وميلت لأحمل سلاحي وقبل أن أرفع ظهري كي أصطاد الغزال وجدت أمامي أرجلًا صافية، علوت قليلًا لأجد جلبابًا أزرقًا طويلًا بين البني وذهب الصحراء ووجه منير مستدير يتوهج ضوءًا فأمامي امرأة حسناء جدًا تلهث من كثرة الجري تحمل بيدها دلوًا ماذا أفعل؟ متعبة ومرهقة.

أردت أن آخذها في حضني كي تستريح من تعبها، يبدو أنها هي التي ظننتها غزالًا يمرح، تريد أن تتحدث ولكنها لا تقدر فهي متوترة وتلهث بانفعال ويبدو خوفها وذعرها، فأشرت لها بيدي كي تهدأ، وأنا أعرف حماقتي دومًا فبدلًا من أن أقول لها اجلسي هنا أو استريحي أو تشربي ماءً قلت لها: "أما رأيت غزالًا يمرح حيث أتيت؟ أيتها الحسناء؟"

فنظرت للأرض بخجل وقالت في حياء بعد تورد وجهها: "لم أر غزالًا ولكنني رأيت أسدًا"

فظننت أنها تتحدث عني أنا، أي رأتني أسدًا، فقلت لها وأنا أضع يدي على سيفي مفتخرًا وأرفع رأسي شامخًا: "وأين ذلك الأسد؟"

وقبل أن هي تجيب سمعت بأذني زئيرًا قادمًا من بعيد فصرخت المرأة وألقت بالدلو على الأرض واختبأت خلف ظهري "أنجدني" فارتعدت مفاصلي ووقفت مصدومًا لأجد أسدًا على رمية حجر مني يزأر، فقت من صدمتي سريعًا وشعرت بدفء يد المرأة وهي تضع كفها على كتفي بارتعاش ترجو أن أنقذها -إنني الآن أمام أمرين لا ثالث لهما: أن أصرخ لتستيقظ الكتيبة من الخيام فيجعلون من هذا الجسد حصوات ويطحنون عظامه تذريها الرياح بين الرمال،

أو أقاتل الأسد وحدي، واخترت الأمر الثاني.

وضعت يدي على كفها وقلت لها استريحي هنا حتى أنتهي من هذا قاتلًا أو مقتولًا.

ولمحت الخوف في عينيها، طمأنتها فجلست على صخرة،

رفعت يدي عن كفها وأمسكت مقبض سيفي وأشهرته عاليًا ونظرت لعيني الأسد ببريق يلمع في عينيه وهرعت جريًا ناحيته وطوحت بسيفي

لأقطع قطعة لحم من وجهه وطوحته ثانية ليشطر قطعة أخرى وثالثًا بكل قوتي حتى طار السيف من يدي لينغرس في رقبته ويخرج من ظهره فلا يستطيع أن يزأر وتحشرج صوته وسقط على الرمال صريعًا لا حراك فيه.

لقد قضيت على الأسد بثلاث ضربات وذهبت لجثته لآخذ سيفي وعدت للفتاة وجدتها تتقدم نحوي في زهو وبهجة: "أشكرك لقد أنقذت حياتي".

فقلت: "أشكرك أنك أريتيني وجهك الحسن هذا فأرحت قلبي وملأتيني سرورًا فتورد وجهها في خجل وحملت دلوها وأرادت أن تذهب ولكني أوقفتها وقلت لها: "ما الذي جعلك تتحركين في هذا الوقت المـتأخر من الليل والبلاد في حالة حرب؟".

قالت: "خرجت لأستقي ماء من البئر ففاجأني الأسد فأخذت في الجري حتى أتيت هنا

"وأين هذا البئر؟"

"هناك عند شجرة التوت القريبة من هنا".

"ولكنك تبدين في ثياب الأميرات فلم لا تأمرين أحدًا من وصيفاتك كي تملأن الدلو؟"

"كل خدمي نيام وأردت أن أملأه بنفسي إذ أحسست بالفراغ وأريد التمشي"

"إذا صح كلامي أنتِ أميرة؟"

"بلى"

"رائعة وجميلة وجذابة وأيضًا أميرة، يا لحظي السعيد هذه الليلة!"

"أرجوك كفاك، أسنقضي الليل كله غزلًا ومدحًا؟"

"اعذريني، جمالك يقودني للجنون".

ضحكت: "قل لي ما اسمك أيها الجندي المجنون"؟

"اسمي آمون، وأنتِ؟"

"اسمي هيلانة بنت أبي حور الممفيسي"

وما إن قالت هذا حتى صدمت وتدلى فكي أسفل حتى كاد أن يخرج منه لساني، لأننا نحارب مدينة ممفيس هذه وكتيبتي التي خلفي تحاصرها من ستة أيام، إذًا أنا أمام الأميرة ابنة زعيم أعدائنا، ولكني قررت عدم أسرها أو لن أخبرها أننا أعداء، ولكني شككت بالأمر ألا تعلم أننا نحاصرهم؟"

فرحت أسألها "ألكم حرب أو عداء مع أحد؟"

قالت: بلى، إننا نحارب أعداءنا من قبيلة السيمافوري منذ أيام ولكننا في هدنة الآن.

قلت بحذر: "وهل تعلمين أين يعسكر جيش الأعداء؟ قالت: "لست أعلم"

وهل يعلم أحدًا أنكِ خرجت لتملئي الدلو؟

"لا، لا يعلم أحدًا، ولكن لماذا كل هذه الأسئلة؟ وما علاقة الدلو بالأمر؟"

"لا، أنا لا أقصد شيئًا، فقط أريد أن أعرف مكان البئر لأملأه معك"

"لا تتعب نفسك، سأملأه أنا وأرجع، يكفي ما فعلت من أجلي" وهمت بالرحيل

"ومن يعلم فربما يقابلك أسدًا ثانية أو أي مفترسٍ آخر، الصحراء مليئة بالوحوش ...لا تحرميني السير معك تحت ضوء القمر"

فلم تجيب بكلمة ونظرت إلى الأرض وولت لتمضي فقلت لنفسي:

"واه، لقد سقط قلبك بعشق ابنة عدوك؟ "ماذا ستفعل يا قائد؟".

وبينما أنا افكر سارح بخيالي توقفت هي بعد أن بعدت عني ونظرت خلفها: "ألن تأتي معي إلى البئر؟"

"بلى" وهرعت جوارها.

أخذت أنظر إليها طوال الطريق حتى البئر صامتين وما إن وصلنا حتى قالت: "ألن تملأ الدلو عني؟"

فأسرعت أمسك بالدلو أملؤه بسرعة وأنا أقول: "بلى، أنا أخدمك بعيوني"

وبعدها أمسكت الدلو لأعطيه لها ورفعت عيني وأنا ممسك به فوقعت عيني أمام عينيها ولا أعرف متى ازدادت عيناها سحرًا وجمالًا، وكان ضوء القمر عكس زرقة عيونها في لمعان أبهر نفسي وملأها سرورًا، وقفت متبلدًا جامدًا أنظر تلك العيون الساحرة حتى سقط الدلو من يدي أرضًا فصاحت في غضب: "أما تأخذ بالك؟ إنك تستهتر بالماء، ألا تعلم قيمة الماء في هذه الصحراء وهذا الوقت من الحروب.

"أعتذر سيدتي" فهمست: "أعتذر أنا على صوتي المرتفع ولكنك أضعت الكثير من الماء"

ومالت هي على الدلو وأخذته وراحت تملؤه ثانية وقبل أن تلقيه جذبتها أنا من يدها في سرعة وقوة، وجذبتها نحوي وضممتها لصدري وضغط عليها بذراعي المفتول ونظرت لعينيها لحظة وهي مشدوهة ولم أطل النظر كثيرًا ولكنني مسكت برقبتها واقتربت من وجهها وعلى رقبتها كانت هناك حسنة تحت أذنها اليسرى، واقتربت منها أكثر وقبلتها في شفتيها لأنال من رحيق حلاوتها وأطلت.

فرفعت ذراعي عنها برفق وكانت مشدوهة مصدومة، احمر وجهها

وتركت الدلو يسقط في البئر بلا عودة، وقالت بصوت مرتفع هز الليل كله: "أنت أحمق كبير"

ارتعشت شفتيها وهي تهمس: "لكنك تعجبني".

ثم جرت أمامي، فقلت لها انتظري، فوقفت -فمددت يدي إلى أوراق من توت وجمعتها في صندوق خشبي صغير بجعبتي، وأعطيته لها- أخذته وهي تبتسم وهرعت بعيدًا

وأنا ألتفت خلفها لأنظرها تبتعد ثم تختفي في الظلام غير المتناهي.

ورفعت عيني نحو القمر وضوئه الساطع وبياضه الناصع "أكمل تدبيرك"

ورجعت لكتيبتي وقضيت الليل كله في ولع ولهفة.

وجاء اليوم التالي لنبدأ المعركة ظهرًا ووسط الميدان، ذهبت إلى خيمتها وتحدثنا قليلًا إلى أن جاء عزرائيل أبي سعد وطوحني وألقاني في هذا السجن اللعين، كل السجون لعينة إلا هذا الضوء المقمر الداخل من الشباك الحديدي، لقد انتهى الدوار من رأسي، لقد فهمت الآن أنني أصبحت أسيرًا بين أعدائي بين يد أبي سعد أبي محبوبتي وعدوي.

قليلًا وسمعت زقزقة عصافير وصوت صياح ديك ونعيق غراب فانفتح باب السجن الحديدي. دخل شخص ضخم الجثة وصرخ في "تعال معي".

أخذني إلى ساحة واسعة، ميدان كبير يصطف الناس حوله ووسط الميدان مسرح لحبل مشنقة وجنود بسيوف وكرابيج عليه وهذا ما كان

هناك كان يجلس العزرائيل على كرسي من ذهب وحوله جنوده "الآن قد انتهت المعركة وتم القبض على قائد جيش قبيلة السيمافوري وسيتم إعدامه أمامكم الآن" قالها السياف الأبله الواقف جانب حور الممفيسي.

ها أنذا ميت لا محالة، هيا إذن أيها الرجل لننتهي من هذه الحياة

وما إن تحركت خطوة حتى خرج من بين الجمهور رجل أخر ضخم جدًا، أسود اللون، أشعث الشعر يجر امرأة في يده، إنها هي، هي هيلانة' إنها محبوبتي فصحت بصراخ "ماذا تفعل يا أحمق؟ اتركها" وأنا أحاول الفكاك من قيودي فضربني واحد من الغلمان بعصاه أسقطني أرضًا.

وصرخ الأبله ثانية "بأمر الزعيم حور الممفيسي قائد منف العظيمة تقتل الفتاة مشنوقة لخيانتها وتجسسها على أرضنا"

يا لك من رجل جاحد قاسى القلب أتقتل ابنتك وتتهمها بالخيانة والتجسس فماذا ستفعل إن عرفت أنها كانت معي عند البئر ليلة أمس؟

فصحت بأعلى صوتي "إني مستعد أن أتزوجها"

فقال الملك بصوت أجش: "اخرس يا كلب يا صعلوك"

فصرخت: "لا، لا تقطعوا لساني هذا ما أريده قبل أن أموت"

فقال الملك: "انتهى الأمر" وأشار إلى رجل يلبس الكتان ولحيته طويلة وعلى رأسه عمامة مربعة يبدو أنه كاهن للقرية تلك، اقترب مني وقال: "ماذا تريد قبل أن تموت؟"

فقلت: "أن أتكلم لا تقطعوا لساني، أن يسمع الناس حكايتي لتكون خالدة بينهم"

فقال الكاهن: "لقد حكم الملك بموتك، وعما قليل ستنتهي ذكراك فلا فائدة من ذلك"

قلت له: "وافق على هذا فأريد الناس أن تسمعني"

فذهب للملك وهمس في أذنه، فوجدت إشارة بالموافقة منه.

وذهب الكاهن إلى هيلانة وسألها: "ماذا تريدين قبل الموت؟"

قالت: "أن أتكلم ويسمعني الناس"

فإذن لنا وقال:" إذًا تكلما قبل أن تقضيا نحبكما".
فقلت:-
يا قوم اسمعوني وأنصتوا لحالي، أنصتوا بفهم، أنصتوا بحق السماء.
في ليلة من ليالي الحروب اللعينة كنت جالسًا أحرس وحدي في الصحراء
والليل سواد من حولي ولا يضيء غير شعاع من بدر أعظم الأضواء،
كنت أكتب شعرًا وقصائد تحكي عن محبوبي المجهول بين الأمراء
إلى أن وجدتها أمامي، وجدت الأميرة الجميلة هيلانة الحسناء.
فقالت:
أنا هيلانة الأميرة ابنة أبي حور قائد وزعيم البلاد.
أصابني الشوق لأخرج لأبحث عن حبيبي المجهول بين ليل وسواد.
فخرجت ومعي دلوي يرويني ويشبع ظمئي من الحب بالكاد.
وليحمل عني سهد الليالي وشقاء الحروب والتعب والنهاد.
فقلت:
جاءت تستغيث بي من الأسد فقتلته بثلاث ضربات
ووثقت بي وشكرتني فحملت عنها الدلو وذهبنا بخطوات
ومشينا في طريق مقمر نتساهر ونحكي أقاصيص وحكايات
كله في همس نخاطر بعضنا دون أن ننطق بكلمات
فالحب لوعة وفؤادي هام واشتعل بأجمل الفتيات
فقالت:
وشبكنا أصابعنا في دلال ومشينا في هيام نحو الماء
وذهبنا للبئر سامرين معا وملأ حبيبي الدلو دون جفاء

وضحكنا ضحك الطفلين معًا فحبيبي قوى الأشداء
فالحب لوعة وفؤادي اشتعل وهام بأبهى الأقوياء
فقلنا بصوت واحد دعا:
وتلاقت ومضة عينينا وسرور يدور يبهجنا
وأطبقنا شفاهنا في رقة وقبلات حلوة تذهبنا
ورحيق عذب يروينا وحنان رائع يشجينا
وحنين يدفئنا سنينًا وأحزان تسطر حكاوينا
وملأنا الدلو من العشق وشربنا منه يروينا
والقصر عال يظللنا وهتاف الحب يطربنا
ونسيج العطف يكسينا وسيوف النجد تحمينا
قالت هي وحدها:
هيا يا حبيبي إلى الموت هيا لنسبح بضحانا
قلت:
هيا يا حبيبتي إلى الموت هيا لنسبح بضحانا
فأمر الملك بإشارة من يده بقتلنا ....
وغطى رأسي جندي غليظ خلفي، وكنت أرى بسيطًا من تحت الغطاء أنتظر الموت وأنظر لهيلانة لعلي أرى جسدها يتدلى ...و لكن حدث شيئًا غير مجرى الأحداث تمامًا
شيئًا غير معقول، شيئًا لا يصدق.
"ها... خلعت الخاتم بإصبعك يا حبيبي"
"إنني أحاول يا زوجتي"

"لقد طال صمتك يا حبيبي، قلقت عليك"

"لا تقلقي زوجتي العزيزة، فقط أنهي الدرس الذي أقوم بتحضيره وأعمل بجد على إصبعي"

"أما زلت لم تنتهِ بعد من دروسك هذه؟ أطال الله روحي حتى أجد لها نفعًا"

كان ذلك الصوت الجميل من زوجتي الذي قطع حبل أفكاري وأنا أقرأ القصة، لا تكترث أبدًا بهذا ودعني أكمل لك الأمر.

قصـة المخطوط

إن القصة السابقة عبارة عن جزء من مخطوط وُجِد في أرض فلسطين في منطقة عين نون بالقرب من مدينة ساليم على نهر الأردن بفلسطين، وُجدت في العام ٢٠٠٩ أي منذ عشر سنوات تحديدًا لفائف داخل كهف صغير بالقرب من منطقة جبلية، وُجدت بواسطة فريق ألماني يدرس العلوم الأثرية وقد كان بالقرب من هذه المنطقة في جولة سياحية ليست لها علاقة بالعمل الأثري أو بعثة ما ففي أثناء جولته تصادف أن مر العالم ماكسويل الآن بهذه المنطقة وانزلقت قدماه ليسقط أمام حجرًا وبابًا خشبيًا قديمًا، وما إن حاول أن يقوم إلا أن بعض الأحجار الصغيرة دحرجته فسقط ثانية ولكن هذه المرة داخل كهف مظلم، قطع العالِم أوصال شباك العنكبوت الكثيفة ومزقها ليجد نفسه يسبح في مصرف مائي له رائحة نتنة، تلك الرائحة دفعته لأن يقوم مهرولًا، وحرك يده اليمنى ليسند على درجة سلم أعلى منه قليلًا فشعر أن يده تلامس شيئًا تحييه بيده، فكأنه أنبوب معدني فسلط كشافه عليه وفعلًا كان أنبوبًا -كما حكى لي بعد ذلك- وقتها قال في نفسه: "ما هذا الأنبوب لعله اكتشاف أثري ولا أعلم" وهو ممتعض من الرائحة النتنة وجسده المبلول من المصرف، لم يحتج للتفكير ثانية واحدة فأخذ الأنبوب المعدني ونظف الأتربة من حوله قائلًا: "قد حفظك الله أيها الصندوق لتوضع بين يد الإنسان الذي يعرف قيمتك".

حمل ماكسويل الأنبوب وخرج من الكهف مناديًا زملاؤه الذين

صعدوه بعد معاناة شديدة بواسطة فريق إنقاذ مختص أخذ ثلاث ساعات حين انتهوا من ذلك.

عاد ماكس إلى ألمانيا فاحصًا الأنبوب بواسطة المختصين والعلماء الألمان فوجدوا أنه يحوي داخله رسائل مكتوبة على ورق البردي، وكانت معظمها من سيدة مصرية من الإسكندرية تدعى إيزيس، كانت ترسلها إلى ابنها آمون قائد مصري بالجيش الروماني ويتضح أن له شأنًا كبيرًا في البلاط في ذلك العصر الذي خمن الألمان أن الأحداث والكتابة وقعت في القرن الثاني الميلادي ما بين ١٢٠م ٢٠٠م.

كانت بعض الرسائل غير مكتملة، ومتقطع منها بفعل الزمن، وحاول العالم ماكس وفريقه الألماني ترتيب الرسائل قدر المستطاع إلا أنهم وجدوا أنفسهم أمام رسائل متفرقة غير مرتبة ربما لا تمثل قصة متسلسلة، بل هي في الأغلب قطع متناثرة من الرسائل مفهومة ولكن لا تفهم الروابط بينها، فهناك تفاصيل مجهولة ولكن المضمون واضح.

وقصة آمون وهيلانة جزء من هذا المخطوط والذي قرر ماكسويل أن ينشره سريعًا معلنًا أن البقية تأتي، وهذا جانب دعائي ولم يوقع اسمه تحت المنشور على الرغم من ضغط تلامذته وزملائه بأن يكتب رسائل ماكسويل إلا أنه آثر أن تحمل اسم صاحبة النصيب الأكثر من الرسائل وسماها "بردية إيزيس"

البدايــة

- قد كانت البداية حينما أراد القائد العام أن يبدأ فصلًا جديدًا لإعداد القادة وقد أعد اللازم من اجل إعداد جيل من القادة قادر على العطاء بالشكل الذي يليق بخدمة المجتمع والعمل الكشفي فكان لابد من تجهيز فريق تدريب قوي، يبدأ في وضع خطة جيدة تفي بالأهداف والاحتياجات اللازمة لتجهيز قادة قادرين على تربية النشء تربية كشفية جيدة تخدم المجتمع وتساهم في تطوره وتقدمه.

- ردف القائد إلى حجرة الاجتماع فهب الجميع واقفون كانت لدخلته وقع الصدمة والدهشة على الجميع فقائدنا له هيبته المعهودة، طول قامته ساعده على ذلك كما أن نبرة صوته توحي دائمًا بالجدية والصرامة والالتزام وتدفعك لطاعة أوامره دون لحظة أو تفكير -الرجل يدرك جيدًا ما يقول وقد قال: "فرقة.. انتباه" فوضع الجميع ذراعيه جانبًا شادين ظهورهم وعيونهم ورؤوسهم إلى الأمام، ينظرون لنقطة ارتكاز أمامهم

"فرقة.. صفا" وضع القادة أيديهم خلف ظهورهم وحركوا قدمهم اليسرى ناحية اليسار مع فرد الظهر ونفس نقطة الارتكاز ثم "فرقة.. انتباه".

ثم قال القائد العام بحزم: "استرح، تفضلوا بالجلوس".

جلس الكل في صمت وجلست معهم ينظر الجميع لهذا الوجه الصارم يعبر عن نفسية رجل بالاتزان المطلوب.

- إن الحياة الكشــفية مليئة بالمغامرات ويعشق الجميع من الأطفال حتى الشباب والرجال الحياة الكشفية، يعشقون الجبال والبحار والطبيعة الخلابة، يقدسون منديل الكشــافة يلتزمون بقانون ووعد يقطعونه على

نفوســهم بالصدق والإخلاص، وهؤلاء النشء يحتاجون إلى قيادات تغذي وتشجع فيهم القيم النبيلة، فمنذ أن بدأ اللورد بادن باول تأسيس الحركة الكشفية عام ١٩٠٧ وكان عمره وقتها تجاوز الستين، كان عليه أن يختار القادة جيدًا في جميع الأعمار من العشرينات حتى الســتينات جيلًا بعد جيل ليقوموا بتربية وتنشئة الشباب على الحياة الكشفية.

إن العمل الكشفي عمل تطوعي، ولا يرغم أحد على الانضمام للحركة الكشفية.

كما أن مبادئ الكشافة ترتكز على مساعدة الناس والمجتمع كله والالتزام الخلقي والروحي نحو الله، ويتجسد ذلك في الوعد الذي يعده أي كشاف والذي ينص على "أعد بشرفي أن أبذل جهدي في أن أقوم بما يجب علي نحو الله ثم الوطن وأن أساعد الناس في جميع الظروف وأن أعمل بقانون الكشافة".

- كان هذا الوعد الذي جددناه نحن القادة داخل غرفة الاجتماعات أمام القائد العام وحينما انتهينا رفع يده بالتحية وسمح لنا بالجلوس، وأمسك بقلم سبورة وأدار ظهره ليكتب عنوان علته (مدرسة إعداد القادة)

- وقال: "هذا يا سادة هدف وموضوع اجتماعنا اليوم ،سوف نقوم بإنشاء مدرسة لتدريب وتأهيل القادة تحت راية مجموعة حورس الكشفية وقد وافق رئيس النادي بمنحنا كل التسهيلات والقاعات والشاطئ أمام النادي لنمارس فيها أنشطتنا حتى السباحة ومراكب التجديف واللانشات وكل شيء، لم تبق أمامنا حجة سوى العمل

وقد فوضت اثنين من أفضل القادة ليعدوا الفريق اللازم لتلك المهمة، فالقائد الصالح والقائد يوسف هما خير من يقودا وينجزا هذا العمل.

- لقد كانت هذه هي انطلاقة البداية حينما دعا القائد العام إلى إنشاء مدرسة لتأهيل القادة وتدريبهم، فالقائد الشاب على الأقل سيقود ويربي عددًا لا بأس به من الأشخاص.

- فالفرقة في الكشافة أربعة وعشرون شخصًا، تقسم على ثلاث طلائع، كل طليعة ٨ أفراد، وكل فرد من الطليعة له دور يرأس كل منهم عريف ومساعد، ويرأس العرفاء الثلاث عريف أول يكون من الفتية أنفسهم ويرأس الفرقة قائد ومساعد وهذان يكونان من الشباب المنوط بهم أن يُعَدُّوا إعدادًا جيدًا يلائم طموحات وأهداف الفتية والمجتمع ومن هنا كانت "مدرسة إعداد القادة".

جلســة ثنائيــة

- جلست أنا والصالح بعد انتهاء الاجتماع في الساحة الكبيرة بالنادي أمام النيل، نشاهد الجزيرة التي تبدو أمامنا بالقرب من المرسى في هذا الوقت من كل عام -حيث تحدث السدة الشتوية ويقل منسوب المياه في النيل وتظهر بعض الجزر منه- وقد كان لنا نصيب من إحدى هذه الجزر أمام نادينا الكشفي.

أخذنا مركبًا صغيرًا وجدف الصالح حتى الجزيرة وكنت أنا مهموم بجمع الأوراق حتى نرسينا وجلسنا وأشعلنا نارًا لعمل الشاي وأخذنا نتناقش حول المدرسة.

"يوسف أنا أسمع عن مجموعة برديات ظهرت جديدًا يقولون عنها أنها جيدة وممتازة جدًا، أعتقد أنها ستكون مفيدة في مدرسة إعداد القادة".

ضحكت ضحكة طويلة وفتحت حقيبتي الملمة لمجموعة أوراق وأخرجتها ببطء شديد وقلت للصالح "تقصد هذه البرديات؟"

دهش الصالح لأول وهلة كيف حصلت عليها، نعم، ها هي كما رأيتها في قنوات السوشيال ميديا.

"لا يهم كيف حصلت عليها الآن، ربما وقت آخر أشرح لك هذا، المهم أنني حقًا كنت أفكر في نفس ما تفكر فيه أنت، وخصوصًا أن تلك البرديات تحوي داخلها رسائل تفيد الشباب على المستوى القيادي والأخلاقي والتربوي"

كنت أتحدث مع ذلك للصالح وهو كان يصب الشاي بعد أن أخرجه من النار التي أعددناها، فوضعت أوراق البردي جانبي أرضًا لأستلم كوب

الشاي منه، وفجأة حدث شيء غريب لم نتوقعه أبدًا، ولن ننساه طيلة حياتنا فقد هبت ريح شديدة علينا، جعلتنا لم نتمالك أنفسنا من الوقوف على الجزيرة، والأخطر أن أوراق البردية تناثرت، فصرخت للصالح بأن يلحق بالأوراق المتجهة ناحية النار، وأنا جريت لألحق بالورقة المتجهة للماء ... وتحركنا بسرعة، ولكن .....

"هل ستظل هكذا يا حبيب عمري؟"

"يا حبيبتي، يا حبيبتي قلت لك أقوم بتسجيل فيديو مهم، ليس بالضرورة أن تقومي بتنظيف المكتب اليوم، أتركيها وسأقوم أنا بتنظيفها"

"أنت تنظفها؟ وهذا سيكون في أي عام يا ترى؟ 0302 إن شاء الله، يوسف أمامك ساعة، عليك أن تنتهي من هذا بعدها سأدخل بأدواتي"

"لا وما قيمة هذا كله، سأخرج حالا"

"إلى أين؟"

"إلى الغرفة الثانية يا حياتي"

ولملمت أشيائي: الكاميرا والحامل والحاسوب المحمول والأوراق وذهبت للغرفة الأخرى، زوجتي إنسانة رقيقة جدًا تهتم بالمنزل وتهتم بي بشكل شخصي ولكن ربما بعض الأمور تخرج عن السياق هذا في أغلب البيوت.

الإسكندرية – العام ١٧٥ ميلادية

انتهى العرض المسرحي والاحتفال كله، وبالطبع يذهب الممثلون إلى غرف تغيير الملابس لتبديل الثياب وغسل المساحيق إلى آخره.

ينفض المسرح من الناس رويدًا رويدًا وتبقى عيني إيزيس على مدخل الممر المؤدي إلى غرف تغيير الملابس والذي سوف يخرج منه الممثلون، وكانت تجلس على تمثال حجري على هيئة أسد تسند ذقنها على راحة يدها متكئة بساعدها على فخذها يكاد أن يوخز كوع الساعد رجلها، ولكنها لا تبالي بأي ألم إذ تبدو كحبيبة تنتظر حبيبها مهما لوحتها الشمس وشدت حرقتها عليها. لم يكن سهل عليها أن تصل إلى تمثال الأسد فقد اخترقت الصفوف وسط الزحام وخلفها تتبعها ابنتها (تي تي) التي كانت تنادي عليها وهي لا تسمع، فقد كانت تسير وتصطدم بأكتاف الناس غير مبالية بأي صوت وتكاد لا تسمعه حتى وصلت إلى بداية صفوف الجمهور وجلست على التمثال شاخصة عينيها على باب الخروج، إلى أن شعرت بكف ابنتها يربت على كتفها ويهمس صوت رقيق في إذنها "إلام تنظرين هكذا يا أمي؟"

أفاقت إيزيس من غفلتها ونظرت إليها بابتسامة ووضعت كفها الأيمن على كف ابنتها المبسوط على كتفها وقالت: "أنظر هناك يا ابنتي حيث سوف يخرج"

فردت (تي تي) في عجب: "من هو الذي سوف يخرج؟"

كان وقع السؤال قويًا، فقد آثار شكوكًا كثيرة داخل قلب إيزيس، ترى هل هو حقًا؟ من هو هذا الذي سوف يخرج؟ هل هو آمون ابني حقًا؟ تراودها الشكوك حول تلك النظرة التي كان يرمقها بها أثناء العرض

المسرحي -وهم يجلدونه- إنها نظرة استغاثة ابن لأمه، يدور داخل نفسها صراع وأسئلة كثيرة، ماذا إذا لم يكن هو؟ من الممكن أن يكون مجرد ممثل ماهر يعرف كيف يوصل شعوره إلى الجمهور، ماذا لو أحست كل أم في هذا المسرح أن المتألم يصرخ إليها شخصيًا، ألم نسمع عن إبداع الرومان في الفنون؟ ولكن لا، إن له بنية مصرية وجسم فرعوني أصيل؟ وهذا يؤكد لكِ يا إيزيس أنه مبدع فنان وليس ولدك، وهل تتوه أم عن ولدها.

إن غيابه أكثر من عشرة أعوام يغير الكثير من الأمور، إنني إيزيس ولو مر مائة عام لن أتوه عن ابني أبدًا.

ظلت إيزيس تحدث نفسها بهذه الأمور وابنتها بجانبها تنتظران خروج الممثلين من الممر.

"أمي طال الانتظار، وخلى الناس من المسرح وسيأتي الجنود يطلبون منا الخروج"

"سأنتظر حتى يخرج" وجهت إيزيس تلك الكلمة كرصاصة انطلقت في وجه ابنتها تي تي وهي تحدجها بنظرة صارمة وعين تنم عن شدة وقوة ولهجة حازمة جعلت تي تي تغير من أسلوبها قليلًا لتسكن من غضب أمها، فمسحت بيدها على ظهرها وبصوت رقيق همست: "ربما لا يأتي إلى هنا، لقد خرج كل الممثلون أمامنا ولم يوجد بينهم آمون".

إن لتي تي وقع السحر بصوتها الرقيق العذب جعل إيزيس تسكن وتغير حدتها ونظرت شاردة بعينها للأمام وهي تقول: "سيأتي.. سيأتي يا تي تي وإن طال غيابه"

"وما أدراكِ يا أمي إنه آمون" يبدو أن تي تي أخطأت بقولها هذه العبارة، فقد أتلفت كل شيء، ما كان لها أن تسأل هذا السؤال أبدًا؛

فانفجرت إيزيس: "لقد قلت لكِ أني أمه – اصمتي حتى أقول أنا متى نذهب ولا تعيدي علي كلماتك هذه ثانية".

- يبدو أن مشاجرتهما البسيطة هذه جعلت أحد جنود الرومان يتحرك ويذهب إليهما متكلمًا بحزم يكسوه احترام روتيني يستأذنهما الخروج وأن وجودهما لا جدوى منه،

فوجهت إيزيس عبارة رقيقة إلى الجندي الروماني تسأل: "هل خرج جميع الممثلين؟"

"لقد خرج الجميع سيدتي ولم يبق أحد سواكما أميراتي"

"ولكن هناك ممثل يدعى آمون.. هل خرج؟ لم أره يخرج مع الباقيين"

"سيدتي لا أعلم أسماء كل الممثلين –ولكن أقول لك أن هناك خمس أبواب خروج خلفية للمسرح، يخرج منها الممثلون– ربما خرج من أحدهم فلا يشترط الخروج من هنا".

ذهلت إيزيس من المعلومة الجديدة، ولكن ليس كثيرًا فدقيقة واختفت الدهشة لتحل محلها خيبة أمل فطأطأت رأسها في يأس -وكادت تنساب دمعة حارة من عينها– واستسلمت لكف تي تي الممدود لها وهمت بالخروج من المسرح الروماني.

"إلى أين تذهبين يا أمي؟"

"إلى المعبد يا تي تي"

"ليس وقت عبادة ولا تقديم قرابين"

"أريد الحديث إليها، هي حجر المعونة"

"ولن أعوقك أمي عن محبوبتك، هيا بنا" ثم مالت تي تي على يدي أمها وقبلتها مع ابتسامة جميلة، وسارا معًا ناحية المعبد الذي دومًا ما عشقته إيزيس "السيرابيوم".

السيرابيوم (١)

- وصلتا إلى المعبد وعند عتبته قالت تي تي: "سأتركك في المكان الذي تعشقينه وأذهب للسوق بجوار حي راقودة لأبتاع الأطعمة اللازمة لنا"

"ألن تقدمي ابتهالًا للربة إيزيس؟"

"قد كفى بالآلهة ابتهالات، لن يزيدهم تشكراتي شيئًا، ولن تجعل صلواتي لهم ينطقون"

"اصمتي يا فاجرة، متى ترجعين عن كفرك هذا وتطلبين الصفح"

"حبيبتي، إنني لم أؤمن بشيء حتى أكفر به، فقط أريد العيش وأحب الحياة"

قالتها بابتسامة ولثمت جبين أمها وختمت: "لا أريد سوى رضاكِ أنتِ يا أمي أنتِ إيزيس ربتي وملكة سماوات قلبي" ثم لثمت ظهر كفها "باركيني أنتِ، ولا تغضبي علي، فالتوسل لكِ والعفو منك"

طيبت تي تي قلب أمها ما جعلها تصفح عن كلامها وردت: "أذهبي ولا تتأخري"

"ما بين هيلا.. وقبل أن تختمي صلواتك بآمون، أكون انتهيت ووقفت أمامك"

"هيا اذهبي يا ابنتي باركك أوزير وحرسك آمون".

- لم تكن تي تي مؤمنة بما يكفي وفي نفس الوقت لا ترفض المعبد والآلهة هي ومعظم شباب ذاك الزمان، لا يبالون كثيرًا بكثرة الطقوس والدين، ربما إن تصرفات كهنة المعابد جعلت الناس تنفر من الآلهة – فما إن يرَ شاب يافع كاهن يسرق من الذبائح والقرابين المقدمة لسيرابيس حتى ينفر من المعبد ولن تطأ قدمه مرة أخرى المكان- لقد فقدوا القدوة واهتزت صورة الآلهة في الأرض من تصرفات الكهنة البذيئة.

بالنسبة إلى تي تي ربما موت والدها وغيابه عن مسرح التربية أدى بدوره إلى غياب القدوة بشكل تام بالمنزل أيضًا -وإن لم تقصر إيزيس أبدًا في تربيتها ولا في تربية أخيها آمون قبل أن يضيع منها في رحلتها البحرية- فيصعب على المرأة تربية طفلين وحدها في زمان موحش دون رجل يعينها.

- تقدمت إيزيس إلى ساحة المعبد المقام على مرتفع ضخم في تلك المدينة أكروبوليس المعروفة قديمًا براقودة وعند وصولها البهو الواسع أمام المعبد ظلت تتمتم وتقول: "كلما أتيت إلى هنا أصب جام غضبي على مانيتون الكاهن المصري الذي شارك هذا الجرم الكائن الآن، فحينما فكر بطليموس لاجوس أثناء حكمه (٢٤٦ ق.م -٢٢١ ق.م) في التقريب بين المعتقدات اليونانية مع المصرية فهداه تفكيره إلى إنشاء ديانة جديدة تفي باحتياجات الطرفين المصري واليوناني فكان لابد من انه استعان برجال الدين وشكلت لجنة عليا ، وقد رأس الجانب المصري الكاهن مانيتون ورأس الجانب اليوناني تيموتيئوس واستمرت اللجنة في المباحثات والمناقشات ومزج وعصف الأفكار إلى أن استقروا على أن يكون محور الديانة الجديدة هو الثالوث المقدس (سيرابيس وإيزيس وحربوقراط)، يا لها من مهزلة صارخة هل يختفي اسم أوزوريس في طيات الإله سيرابيس؟؟ وهل يتلاشى البطل الإله حورس ليصبح حربوقراط -حمدًا للإلهة نوت ربة السماء أنهم لم يقتربوا منكِ أيتها الحنون إيزيس- لم أكن أعرف ماذا كنت أقول وقتها إن كانوا فعلوا شيئًا يخدش اسمك القدوس المملوء نعمة.

ظلت إيزيس تفكر بكل هذه الأفكار وهي واقفة أمام تمثال إيزيس الموجود بالساحة على يمين المعبد بين الأعمدة الكبيرة التي تحيط جانبه الأيمن، فلمعبد السيرابيوم ساحة كبيرة مستطيلة تحيط بها الأعمدة العظيمة من كل جانب ووضعوا الإله سيرابيس داخل قدس أقداس الهيكل وجعلوه مرصعًا بالأحجار الكريمة -تحركت إيزيس (الأم) إلى السلم الكبير المصنوع من المرمر لتدخل من الباب ذي الأربعة أعمدة، حتى دخلت للصالة التي تتخذ شكل قبة محمولة على صف مزدوج من الأعمدة الرخامية- شيء عظيم مهاب يدهش أي أحد ويشعره بالرهبة ولو تكرر مجيئه إلى المكان كل يوم -تقدمت إيزيس إلى الساحة المربعة والتي تحيطها أعمدة لها تيجان مصنوعة من البرونز المذهب- ورفعت عينيها إلى الإله سيرابيس الذي يتوسط تمثاله تلك الأروقة وقالت له بصوت واضح :"لم آتِ إليك -إن علمت هذا أو لم تعلم ولا يهمني ما سيقوله الكهنة عني، وحتى وإن سمعني أحد هنا، لقد جئت لحبيبتي إيزيس والتي تسميت باسمي على اسمها الذي لا أستحقه وإني على يقين أنه لم يطلق علي عبثًا أو بلا قصد، وإن كنت الآن أنظر إليك فإني أنظر فقط إلى أوزوريس الذي بداخلك.

ثم وجهت له إصبعها السبابة وقالت في تحد صارخ: "لا تظن أن تلك الفتحة العلوية الموجودة أعلى الأروقة والتي تدخل شعاعًا من الشمس كل يوم لينير فمك أنها لك أنت

لاااا، لاااا أيها الإله المختلط، إنها أشعة آتون تبارك فم أوزوريس تمنحه البركة والسلكة والقوة، أنت لست سوى إله صنعه البطالمة يا إله الرومان، ورع منك بريء"

ثم بسطت إيزيس ذراعيها عاليًا في وضع صلاة وقالت وهي تدور ببطء شديد تدور حول نفسها "سامحك آمون يا مانيتون إنك اشتركت في هذا العبث، لولا أنك كاهن عظيم ومبجل وأنا أحترمك لكنت جلبت عليك اللعنات، سامحتك إيزيس بحنوها ورعايتها، سامحك أوزوريس وأنوبيس، أتعشم أن ينصفوك أمام ماعت" وتوقفت وهي تبكي ووضعت ذراعيها متقاطعتين على صدرها في وضع آخر للصلاة ونظرت إلى سقف المعبد حيث نور الشمس الداخل من الطاقة وقالت: " هيلا.. أيتها الربة إيزيس يا أم الإله أوزوريس الذي يشرق فوق نوت، أيتها الحنونة التي جمعت أشلاء زوجها يا من أرسلت إلى مجمع الآلهة لنجدتك ومساعدة زوجك على البعث مرة أخرى -طائر السنونو- رسول الاستغاثة

أرسلي السنونو لمجمع الآلهة ليعيد لي ابني آمون الذي تاه وبعد عني أكثر من عشر سنوات، أنتِ أم وتعلمين معنى أن تفقد أم ابنها طيلة هذه المدة، لقد مات زوجي ولم أطلب منك أن تعيديه إلي كما عاد زوجك وحبيبك أوزير في مركب بالبحر، ولكن على الأقل أن تعيدي إلي ابني الذي تاه مني حبيبي آمون، يا أماه يا أم الرحمة من إيزيس طالبة المعونة إلى إيزيس صاحبة المعونة، من المسكينة إلى ربة الكون، هل ترسلي لي ابنك المحبوب حورس ليعيد لي ابني المحبوب آمون هلا تعينيني.. آمون"

"كنت أعلم أنني سأجدك هنا"

"كنت أعلم أنني سأجدك هنا"

صوت جميل عذب رن في أذن وقلب إيزيس، قطع أحبال صلاتها، في البدء ظنته صوت ابنتها تي تي، فقبل أن تدير ظهرها قالت:

"هل صدقتي يا تي تي حتى تأتي بنهاية صلاتي؟"

رد الصوت من خلفها: "لست تي تي، ها أنا يا أمي"

فالتفتت إيزيس إلى مصدر الصوت وقلبها يخفق بقوة يكاد يخرج من بين ضلوعها أو يكسرها، لتجد ابنها آمون يقف بقامته الممشوقة ووقفة عسكرية مهابة.

"لقد أعطيت لتي تي المحار الذي تحبه أكله لتنتظرنا في الخارج"

اقتربت إيزيس وهي لا تصدق عينيها واقتربت من الرجل الواقف أمامها وتحسست بأصابع يدها وجهه وظلت تنظر إليه كأنها تفترسه، ومشت بأصابعها على شعره ثم على خديه وهي تقول بصوت خافت من شفتيها التي اختلطت الكلمات بالدموع: "ابني، ابني وحبيبي آمون" ينساب الحنان من كفيها على وجنتيه الجميلتين التي طالما قطعتهما قبلًا وهو صغير، تحسست كل شيء بأصابعها جبهته وأنفه وثغره، الذي ما إن جاء كفها عنده تحرك ليقبل بطن كفها، بسطت ذراعيها لتضمه بين أحضانها.

"تعال.. تعال يا ابن بطني يا حبيبي".

بكى آمون في حضن أمه بين ثدييها اللتين أرضعتاه وهو صغير وجعلا منه ذلك البنيان القوي، الجسد الصرح الشامخ.

" أيا أمي أيا إيزيس الحنون، أين غبتِ عني طيلة هذه السنين؟"

" أيا آمون، أيا حبيبي الذي لم يغِب.. أين تهت عني هذه السنين؟ عشر سنوات ثقيلة جدًا على قلب أمك"

"سامحيني يا أمي.. تحولت عنك في مركب آخر و...."

"شششششش ...لا تتحدث، لا أريد أن أعرف شيئًا ...المهم أنك هنا وأنني وجدتك"

ركع آمون وهو يبكي وأراد أن يقبل قدم أمه، فمنعته من ذلك وأقامته.

"لا.. لا يا بني فلا يركع سوى العبيد وأنت ابني، اسجد للربة إيزيس التي جلبتك إلى هنا" ورفعت رأسها ثانية نحو الطاقة العلوية وقالت: "أحمد يا والدة الإله يا أم حورس يا حجر المعونة الذي لا يخزي من يتكئ عليه".

"تعالي.. تعالي يا أمي لنجلس"

أخذها آمون من يدها وجلسا على وسائد أرضية، جوار بعضهما وكفها بين كفيه، جالسين كحبيبين عاشقين يتبادلان نظرات الحب.

"لقد عرفتك يا أمي أثناء العرض المسرحي من وسط مئات المتفرجين"

"وأنا تيقنت من نظرتك إلي وكأنك كنت تناديني باسمي"

"حقًا كنت أنادي إيزيس الربة قبل أن أمرقك بنظرة، أطلب المعونة"

"كنت متألمًا يا حبيبي؟، لم يكن تمثيلًا صحيح؟ لقد كانوا قساة.. حقًا ذلك؟ قل لي.. بالغوا في ضربك"

"إنهم كانوا يؤدون دورهم يا أمي"

"دورهم أن يجلدونك بجد؟"

"لقد كان تمثيلًا يا أمي"

"السياط يا ولدي كان لها شكلًا مهيبًا مريبًا، أرني ذراعك من أعلى.."
وراحت ترفع الأكمام لترى قمة ذراعه من عند كتفه خطًا طوليًا لونه أحمر وأزرق فأطلقت شهقة مكتومة

"آآآآآه إنه السوط.. انظر أنت مجروح يا آمون، دمك يسيل"

"لا يسيل يا أمي ...لا تخافي واهدئي " وبدأ دمه يسيل فعلًا فمسحت بإصبعها وقالت: "ها هو دمك الغالي يا حبيبي يسيل منك بسببي أنا التي تركتك" وقطعت قطعة قماش من جبتها لتربط ذراعه هو يحاول منعها ولكنها أصرت هي أن تضمد جروحه.

"لا تقلقي يا أمي، إنه جرح بسيط ولا يسيل منه دم كثير"

"وتقول لي يؤدون دورهم؟ هل مازلت تضحك على أمك، ألم تتغير منذ صغرك؟

قالت هذا وهي تخرج من جيب عباءتها صرة بها مسحوق وأخرجت منها ملء كفها ووضعته على الجرح وربطته جيدًا وشدت عليها وهي تكشر وتزوي بين حاجبيها، فنظر إليها آمون بعطف وقبل يدها.

"لقد غاب عني هذا الحب، ووحشني حنانك واهتمامك هذا"

ابتسمت إيزيس ووضعت كفها على وجه آمون وقالت:

"تبقى الأم ولا تتغير، أنتم الأبناء الذين تتغيرون وتتبدلون"

"ما زلتِ كما أنتِ، لا تكفين عن التوبيخ والتبكيت"

"خلقنا رع لتربيتكم لا لإهمالكم"

"الحمد لرع، آتون الواحد معه الذي جمعنا اليوم"

"الحمد لرع الذي جمعنا اليوم، ولكنك لماذا تلبس زيك العسكري هذا، ألم تنتهِ فترة تجنيدك وأصبحت ممثلًا؟"

"لا يا أمي، مازلت قائدًا لكتيبة وأخوض حربًا مع مدينة ممفيس جنوبًا، بقيادة زعيمها حور الممفيسي، ومعسكرنا على بعد 52 كم من منف، فقط أنا وعشرة من زملائي أعطونا إجازة شهرًا، لأنه كان لنا ثلاث سنوات نخوض معارك دون أن نحصل على راحة أبدًا"

"يا حبيب قلب إيزيس، ثلاث سنوات دون راحة؟ يا لقساوة الحروب"

"خلال هذه الفترة كنا نجهز لهذه المسرحية أنا وأصدقائي كي نعرضها في احتفال الإله كيرانوس في حضور الإمبراطور هادريان، فهذا المحفل يتكرر كل عام ويأتيه الناس من كل الأقطار"

"ولقد قدمت عرضًا هائلًا أنت وزملاءك، هل ستعرضون غدًا؟"

"لا، فسيتم الحفل غدًا دون عرض مسرحيتا، لأننا سنعود فجرًا إلى معسكرنا بمنف، فقد انتهت إجازتنا"

"وانتهى المحار الذي أعطيته لي أيضًا"

دخلت تي تي القاعة لتنهي الحوار الدافئ الذي بدأ وانتهى سريعًا

"تي تي أختي المحبوبة ...طالت وحشتك، أصبحتِ أميرة جميلة مستعدة للزواج، جميلة وبهية وعودك ملفوف"

"وهل تغازل أختك التي تكبرك بعشر سنوات، إذا كنت تزوجت من زمن كان لدي ولد في مثل سنك"

"ولماذا لم تتزوجين إذًا؟، أظن لسانك منعك من هذا" تدخلت إيزيس بصوت حازم قاطع.

"آمون ما ذا دهاك؟"

"اتركيه يا أمي أنا أعلم أنه يضحك معي، ولا يقصد ما يقول"

"انظري يا تي تي إن أخاك مسافر الغد لمعسكره ولم نلحق أن نراه"

"هل صحيح ذلك يا آمون؟"

"نعم، فهذا إلزامي وضروري، وحربنا مع منف، كما تعلمين أننا دائمًا في عداوة مع المنفيين وأنا قائد الكتيبة القريبة من هناك" توترت تي تي حينما علمت أن آمون هو قائد المعسكر الذي يحاصر منف، وسألت بصوت متقطع "منذ متى وأنت هناك يا آمون؟"

"منذ سنوات، وقد أخذت إجازة شهرًا، ونجوت من الموت بأعجوبة" ازدادت تي تي دهشة وحيرة وكأنها تحاول أن تفهم لغزًا يدور بخدلها وسألته:

"نجوت من الموت؟ وكيف حدث ذلك؟" قاطعتهما إيزيس وقالت: كُفَّا عن الحديث وهيا للمنزل نأكل ونفرح في الساعات القليلة القادمة قبل مغادرتك يا آمون صباحًا"

تنحنح آمون وقال لأمه: "سأغيب عليكما ساعتين أو أكثر حتى أجهز كل عدتي بالكتيبة ثم أعود إليكم ليلًا نتسامر حتى الصباح، لذلك أعطيكم هذه البرديات بها مذكراتي لسنين فائتة اقرأيها كما تشائين، وخصوصًا الفصل الأخير منها حتى نتحدث ليلًا بعد عودتي"

وقدم آمون لإيزيس حزمة من أوراق البردي، وقبلها وقبل أخته ومشي، وما زالت تي تي تنظر بعيدًا وكأنها تفكر في أمر ما، وسحبتها أمها من يدها ليعودا للمنزل، فمشت وهي تجر رجليها وتفكر.

وحينما ذهبا إلى البيت، طلبت إيزيس من تي تي أن تعد لها كوبًا من الشاي تحتسيه، فذهبت تي تي توقد الأخشاب لتضع عليها مقوِّد الشاي، وكانت إيزيس قد خلعت جلبابها وألقته جانبًا وكان داخله لفافة أوراق البردي التي سقطت من المصطبة متدحرجة وكانت اللفائف في طريقها

إلى النار، وللحظة التفتت تي تي لتدحرج اللفائف نحو النار وهي على مسافة مترين منها، وصرخت تي تي بصوت مرتفع وهي مرتعدة – وحدث ما لم يتوقعه أحد.

طار الصالح في الهواء وكأنه حارس مرمى راح ينقذ كرة من هدف مؤكد ، ليلتقط ورقة البردي قبل أن تسقط في النار تلك التي نال قميصه من رمادها، أما أنا فقفزت بسرعة على المركب المرسو وسحبت المجداف في خفة والتقط عليه ورقة البردي الأخرى قبل أن تسقط في الماء بعدها جلسنا أنا والصالح وقرأنا الأوراق التي أنقذناها، فنحن تفاءلنا بهذا الموقف وقلنا علينا أن نبدأ بالأوراق هذه، لعلها تكون أول الدروس التي نعلمها للشباب وبعد أن انتهينا من قراءة الجزء الخاص بمقابلة آمون بأمه إيزيس بعد غيبة عشر سنوات جلسنا نتحدث.

"لقد كان لقاءً حارًا وقويًا بين إيزيس وابنها، اقشعر بدني وأنت تقرأ لي الكلمات من البردي، هل يوجد هذا؟"

"وأيضًا لقاء تي تي بأخيها، صحيح أن البردية لم يكتب فيها ذلك سوى أنه منحها المحار الذي تحبه، ولكني أستطيع أن أتخيل لقاء آمون بأخته لن يقل حرارة عن لقائه بإيزيس"

"ولكن يا يوسف لماذا اندهشت تي تي حينما علمت بأن أخيها هو قائد معسكر منف؟، وفيم كانت تفكر لدرجة أنها كانت تجر قدميها وهي تسير؟"

"حقيقة يا صالح أمر مثير للتساؤل ربما يظهر ذلك في الصفحات التالية من البردي"

"صحيح هذا يا يوسف ولكن كيف سنوظف هذين اللقاءين في دروس القيادة؟، فبالطبع أنا أفضل أن الطلبة هم الذين يخرجون تعاليمهم بنفسهم، ولكن دعنا نتناقش قليلًا"

"لن أتحدث سوى عن درس واحد أستفيده من هذه الرسالة التي قرأناها، أن دور الأم والابنة الكبرى يظهران دائمًا بأدوار قيادية في أي أسرة، ولكنني أجد هنا أن القائد هو آمون وليس هما؟" تعجب الصالح من تصريحي هذا، وسأل:

"كيف يكون هو القائد، هل لأنه قائد بالجيش الروماني وجندي شجاع؟"

"لا.، ليس فقط ذلك، ولكنه قائد لأنه استطاع احتواء الموقف، وغفر سريعًا"

"لم أفهم مقصدك"

"دعني أسألك سؤالًا.. إذا تاه طفل في سن العشر سنوات من أمه من نلوم في مجتمعنا الأم؟ أم الطفل؟" رد الصالح بسرعة: "الأم طبعا".

"صحيح، السؤال التالي هل إذا عادت الأم لتجد ابنها، هل سيكون الترحاب والتلاقي سهلًا؟

"فهمت ما ترمي إليه، إننا هنا أمام موقف مختلف تمامًا عن الطبيعي فشاهدنا آمون يلتقي بأمه دون كلمة لوم واحدة، وكأنهما حبيبان اتفقا على الفراق سنوات وتلاقيا من جديد، ولكن أين القائد أيضًا؟"

"القائد الحقيقي يا صالح هو الذي لا يلوم أبدًا، ليس الذي يتخذ دورًا إداريًا أو قياديًا لأنه أبًا أو أختًا كبيرة أو قائدًا بالجيش أو مديرًا لشركة، القائد الحقيقي هو الذي لا يلوم والذي يغفر، ويحتوي الأمور السيئة حتى تتلاشى"

"رائع، رائع جدًا يا يوسف، اكتبها عندك في مفكرتك حتى نذكرها في دروسنا للشباب ونعرضها في خطتنا أمام القائد العام قبل أن نبدأ العمل بالمدرسة".

"المدرسة تطلب بألف جنيه إمدادات، وابنك لابد أن يذهب بها يوم الأحد" قالتها زوجتي، فمن فزعي منها سقط كوب الشاي على الورق الذي كنت أكتب فيه.

"ارحمي أمي المريضة، لم أعرف أكتب كلمتين في منزلي؟ وسقط الشاي على الورق ليبتل"

"وما لي أنا؟ ابنك عاوز الإمدادات ولابد يذهب بها يوم الأحد، قلت أقول لك لكي تحضرهم"

" يا حياتي اليوم يوم الخميس، مازال هناك غدًا وبعده، يمكنك أن تقولي لي فيهم، أنا مشغول بتصوير الفيديو التعليمي هذا لطلبة الكشافة".

"إن اليوم عندك كسنة، فقلت أقول الآن حتى تلحق بالسبت لشرائها"

"حاااضر، حاااضر يا عمري، عيني، غدًا أحضرهم، أي شيء آخر؟"

"لا شكرًا"

"العفو ممكن حضرتك تعطيني ساعة زيادة أكتب لأن كل ما كتبته انصب عليه الشاي؟"

"تكتب؟ ماذا تكتب؟ أنا في الأصل تركتك تسجل فيديو والآن تكتب؟"

"عذرًا حبيبتي هناك جزء أكتبه وجزء أصوره وأعمل خلط بينهما، هل من الممكن أن أكتب الآن من فضلك؟"

"لا، ارجع غرفتك، لقد انتهيت من تنظيفها، ولكن إن ألقيت ورقة؟

ورفعت إصبعها السبابة أمام عينها، وكدت أنفجر، ضغطت على أسناني، ولملمت أوراقي والكاميرا والحامل والحاسوب ورجعت غرفتي أبدأ من جديد.

حوار إيزيس مع ابنها آمون – بعد أن قرأت مذكراته على ورق البردي–

- كان دلو الماء الذي سكبته إيزيس على النار المشتعلة بمثابة المنقذ للبردية من حريق كان سيغضب قلب آمون، ويحزن السيدتان، لأنهما بالطبع سيجهلون الكثير من الأحداث، وسلمت إيزيس الدلو لتي تي ولكنها أفلتته من يدها، و تراجعت في دهشة وكأن ثعبانًا لدغها، فهتفت إيزيس: "ماذا بك يا ابنتي؟ منذ أن عدنا من المعبد وأنتِ على غير هدى؟ هل حصل شيئًا؟" ردت بتوتر وذعر وهي تنظر للدلو الساقط: "لا يا أمي، لم يحدث شيئًا، ومالت أرضًا وسحبت البرديات ووضعتها في حضنها وقالت لأمها "أيمكنني أن أقرأ البردية أولًا" خطفتها إيزيس منها "لا، لن يحدث سوف أعلم بأخبار ابني أولًا، وأنتِ لن تقرأيها قبل أن تجهزي الشاي والعشاء لأخيكِ"

- أطاعت تي تي أمها دون أدنى معارضة، ودخلت إيزيس حجرتها تقرأ مذكرات آمون.

- قبَّل آمون يد أمه وجبهتها وقال: " حمدًا لرع على سلامتك"

قالت: "مرحبًا بك ولدي وفلذة كبدي، لقد قرأت أمس مذكراتك التي أعطيتها إلي"

"حسنًا وستفرحين حينما تري هيلانة، ستحبينها ويزداد فرحك بها"

"أنا لن أرى تلك الفتاة أبدًا"

"لماذا يا أمي؟ هل حدث شيء؟"

"يكفي ما حدث وما قرأته في برديتك الملعونة"

"ما بالك وما في البرديات من سوء حتى تغضبي هكذا"

"الأشجار والكروم تفرح لسقطتك أيها البطل المغوار"

"سقطتي؟ عم تتحدثين؟ ماذا تقصدين؟"

"يوم أن تهت في شكاية الخلاعة وتهت عن الحق، اهتزت الجبال والآكام ضحكًا وسخرية على العظيم الساقط"

"ما قيمة هذا الكلام يا أمي، ابصريني وأعلميني لماذا كل هذا الغضب؟"

"هتفت صخور الوعر بأناشيد وهتافات على سقطتك، أشاحت صحراء مصر وشاحها الأصفر لترقص برمالها بأعاصير ورياح الخزي وزعابيب ودفوف أترة العار، ورقصت الأشنة على الوادي شماتة بك، يا لفرحة أعداءك أيها البطل النصف مصري، الروماني المغوار، أشير عليك أن تستيقظ وتقوم الآن وتفيق من غفلتك ثم اذهب واغتسل الآن

"كفى يا أمي، كفاكِ توبيخًا وإهانة وأوضحي لي ماذا قرأتِ جعلك تنزعجين هكذا؟"

"هيلانة؟ هيلانة يا آمون.. يا ابن إيزيس عبدة إيزيس.. يا ابن بطني.. يا من كللك أوزير وحفظك برعايته وحرسك حورس وقت ولادتك، أتحب هيلانة ابنة حور الممفيسي؟"

"أهذا هو الذي ضايقك يا أمي، ومنذ متى والمصريين ينظرون لعرق الآخرين؟"

"إن الأمر يرتبط بثقافتهم، إنه مجتمع ريفي له ثقافته التي تختلف عنا، نحن هنا أبناء الإسكندرية يعني الذوق والفن والموسيقى والمعابد العظيمة الشأن نحن أصحاب حضارة"

"هم أيضًا أصحاب حضارة، فلا تنسِ أن منف كانت عاصمة البلاد أيام الملك العظيم نارمر، وبنى بالقرب منها أعظم الأهرامات والتي يشهد لها العالم حتى الآن"

"أنت قلت كانت، وكانت هذه منذ أكثر من خمسة آلاف عام أستظل تفخر بحضارة الخمسة آلاف عام، وتنسَ الحاضر.. انظر، انظر يا آمون للعمارة حولنا، لشوارع الإسكندرية، انظر للقصور"

"تلك الشوارع يرونها وكر للسكر والعربدة، وأروقة تأوي الداعرات والسِكِّيرين يتمايلون علنا بالشوارع"

"ومن قال لك أن بيوتهم خالية من ذلك، إن الشر موجود بكل مكان في العالم، ويبقى أننا نختار ما نريد، أنت وأختك وأنا وكل أصدقائنا نعيش بين النار، ولكن أوزير يحفظنا بظل حورس، يجب عليك يا آمون، إنها ستظل هكذا رؤية منف لأنهم كانوا العاصمة التي تتحكم في البلاد في الزمن السالف وتحول بعدها كل شيء عنهم حينما أصبحت الإسكندرية هي العاصمة الجديدة"

"لا يهم كل ما تقولين، فالحب لا يعرف كل هذا"

"استيقظ، أقم مملكتك من جديد لأني أرى الأعداء قريبون منك يلتفون حولك، قم لئلا تخرب نفسك، تصبح كقفر فارغ لا يربض بها راعٍ بل تربض بها الوحوش الضارية، اصحو لإلهك وتُب، لئلا يملأ البوم بيتك والغربان تضع أعشاشها على سطوحك، هناك تسكن بنات النعام، وترقص المعز البري، وتصيح بنات آوى في قصورك، والذئاب في هياكل التنعم ووقتها قريب ولا يطول"

"يا أمي هذا الكلام ثقيل علي"

"ثقيل عليك الكلام؟" يااااه أهو هذا الرجل الذي زلزل الأرض وزعزع الممالك وحارب حروب الرومان، المصري الذي جعل العالم قفار وهدم مدنه وأساطيره وخرافاته الذي لم يطلق الأسرى لبيوتهم بعد"

"اهدئي يا أمي واستريحي، إن الحب لا يعرف فواصل العرق بين الناس"

"والحب يعرف القرب والاشتراك والتفاعل، هل تستطيع أن تمنع ذلك؟"

"لا، فالحب والزواج تفاعل مستمر وعلينا الاختيار، أليس هذا ما ربيتينا عليه يا أمي؟"

في الحقيقة الجزء السابق من البردية مقطوع، ولم نعرف إلام انتهى الحديث الذي دار بين إيزيس وآمون حول علاقته بالفتاة وإلى هنا نكون قد انتهينا في هذا الجزء من حلقتنا – وفي الحلقة القادمة سنتكلم عن أول معسكر كشفي لمدرسة القادة، ونعرف كيف استفدنا من دروس البردية على المستوى القيادي، انتظروني ولا تنسوا أن تسجلوا إعجابًا لهذا الفيديو، وتشاركونه مع أصدقائكم، وتقومون بتفعيل الجرس وترون الروابط أسفل الفيديو لتشاهدوا اجتماعاتي مع الصالح والقائد العام وباقي قادة الكشافة – سلام – يوسف سعد.

"هل انتهيت؟"

نظرت أنا لزوجتي وهي تحمل ملعقة خشب للطبيخ بيدها، وقلت لها:

"نعم، انتهيت تعالي واجلسي جواري يا حبيبتي"

"لا، كيف أجلس؟ ثم ما هذا المعسكر الكشفي الذي تريد أن تتحدث عنه هذا، نحن لا نريد فضائح يا يوسف"

"فضائح؟ يا قلبي يا قرة عيني، إنها مادة علمية أقوم بتجهيزها لأجل عودة مشروع مدرسة إعداد القادة القديم"

"كيف يعود يا يوسف؟ هذا الأمر له أكثر من عشر سنوات، وهذه المدرسة لم تعمل غير سنتين فقط، فكيف لها أن تعود"

"هذان السنتان كانتا مليئتان بالدروس القيمة والثمينة والتي تهم الشباب بالكشافة ويحتاجها هذا الجيل حقًا"

"كما تريد يا يوسف ولكن عليك أن تأخذ حذرك ليس كل ما وقع يمكن أن يقال، هنالك الكثير من الأمور في الكشافة حدثت وإفشاؤها ربما

يغضب أصدقاءك منك"

"لا تخافي، سأقول فقط ما يفيد ويبني جيلًا جديدًا يهتم بالقيادة"

"أثق بك، هل تريد أن تأكل أم أمامك عملًا آخر؟"

"لا سآخذ راحة ...هيا نأكل"

"إذن اعمل قليلًا حتى أقوم بتسخين الطعام لك"

وهمت زوجتي الجميلة الطيبة التي أحبها بكل كما هي بكل صفاتها وحركاتها وكلامها، توجهت إلى ابني على سريره وقبلته وجلست بجانبه على أمل أن يستريح عمودي الفقري قليلًا، ولكن يبدو أني غطت في نوم عميق.

العام ٢٠٠٩ –محمية وادي دجلا الطبيعية– الكيلو ١٢ – الثامنة صباحًا

وصلنا أرض المعسكر، ونزل الجميع إلى ساحة الأرض الواسعة بين أحضان الجبال، وكانت قد وصلت سيارة النقل والحافلة واستقل جميع الموجودين صخرة يجلس عليها من عناء السير واجتمعنا نحن قادة المعسكر ثلاثمائة متر أو تزيد نضع الخطوط العريضة ونستعرض برنامج المعسكر، وقفنا في دائرة على غير اتفاق، كنت أقف وعن يميني القائد سالم ويواجهني القائد الصالح وتبقى القائدة ملك على يساري وكان القائد سيد ومنتصر منوطان برفع الحقائب عن الشاحنة الكبيرة وإنزالها وتجهيز معدات الطهو وتجميع الخيام بأوتادها وعتادها بأرض المعسكر، وتجهيز خيمة الدروس، أما القائد العام فقد اعتذر عن أول يوم وسيأتي غدًا.

استعرضنا البرنامج الذي سيبدأ بنصب الخيام وتجهيز المعسكر ثم يليه الإفطار إلى أن ينتهى بالنوم الإجباري في العاشرة والنصف ليلًا حتى تبدأ المغامرة في الثانية بعد منتصف الليل، ولم يكن أي اعتراض على فقرات اليوم سوى تعليق القائد الصالح عن أن تبدا المغامرة الليلية في العاشرة والنصف حتى الواحدة صباحًا وينتهي اليوم هنا حتى يتسنى فرصة للجميع النوم ولم نتفق نحن الأربعة على شيء فأجلنا قرار تحديد موعد المغامرة إلى الجلسة حول النار التي ستدار في السادسة مساءً.

اتفقنا على أن يتولى سالم مهمة نصب الخيام مع الأفراد (قادة

المستقبل) وإنشاء المعسكر، أما القائدة ملك فتساعد منتصر في إعداد الفطور، والقائد الصالح قرر أن يستريح خلف التل الصغير استعدادا للمحاضرة التي سوف يلقيها بعد الإفطار في التاسعة والنصف.

والقائد سيد تولى محاسبة السائقين ماليًا، والاتفاق على موعد العودة بعد ثلاثة أيام، وكنت أتابع أنا الجميع وأتأكد أن كل شيء على ما يرام، ولكنني وجدت أن الأشياء لا تبدو كما في ظاهرها، ففوجئت بشيء مريب ولم يكن عونًا لي في هذا الوقت سوى الصالح فتوجهت نحو التل الصغير لأخبره بما علمته.

- يبدو أن الحوار الذي دار بين إيزيس وآمون لم ينتهِ على نحو جيد، واختلفا وذهبا على غير اتفاق، لم يتضح الأمر تفصيلًا في البرديات بشكل واضح ولأن أيضًا الترجمات الألمانية من الهيروغليفية لم تكن جيدة إلى حد بعيد، ولكن يمكننا أن نستخلص من بين السطور أن إيزيس أعلنت أنها لن تكون في بلدة واحدة مع آمون إذا قرر أن يتزوج هيلانة ابنة قبيلة المواراس، فيبدو أنه هناك عداءً قديمًا بين الأجداد تتوارثه الأبناء دون تفكير، وقد حلفت أنها لن تراه ثانية ولن يرع وجهها مادام يفكر في هذا الأمر، ولكن على ما يبدو أن آمون كان سيقود معركة ما في طيبة، وأصدر مرسومًا رومانيًا بأن يتحرك بكتيبته إلى هناك ليصد الأعداء، فأعلن لأمه ذلك وقال: إن الأمر سيصير طبيعيًا دون حلف منها ، فهو سيذهب ولا يعرف متى يعود ، وتقريبًا ذهب دون وداع حقيقي على الرغم من غيبته عنهما أكثر من عشر سنوات، ولكن الأمور وصلت إلى الحد الذي لا يستطيع أحدًا أن يتنازل أبدًا.

- وسافر القائد آمون ودخل المعسكر بكتيبته في منف، يجهز عدته

للحروب ولصد الأعداء ومرت شهور، ولكن يبدو أنه حدث شيئًا خطيرًا جعله يكتب رسالة إلى أمه سريعًا ويرسلها مع فارس إلى الإسكندرية فيبدو أن الأمر خطير ويستحق أن يرسل لها هذه الرسالة.

- تصفيق حاد جدًا، أشكركم جدًا ونشكر القائد الصالح على محاضرته الرائعة وأسلوبه الشيق الجذاب وأريدكم أن تحيوه مرة أخرى أقوى من الأولى – بالصقفة السباعية

سباعية، سباعية أبدأ.

تك تك تك – تك تك تك – تك تك تك تك تك تك تك تك

تك تك تك – تك تك تك – تك تك تك تك تك تك تك تك

تك – تك -تك

فرد القائد الصالح بخجل شديد جدًا: أنا الذي أريد أن أشكركم على تفاعلكم وأسئلتكم التي لولاها ما كانت تنجح المحاضرة، وحقا الذي يستحق هو القائد تيمون على تشجيعه الرائع هذا وترتيبه للمعسكر، وأعدكم أنكم ستقضون أفضل أيام حياتكم ولن تنسوا أيام المعسكر هذه، فقط الساعات القادمة سوف تريكم كل المجهود الرائع المبذول من القادة وعلى رأسهم القائد تيمون، تصفيق حاد مرة أخرى وبقوة.

- "نحن الذين نشكرك يا قائد على كلامك الجميل هذا وستكون أول من يستلم نسخة من رسائل إيزيس، والآن كل قادة المستقبل الكرام ستذهبون الآن إلى فترة راحة قدرها نصف ساعة فقط، على أن نجتمع ذاتيًا في أرض المعسكر في تمام الساعة الحادية عشر والنصف لاستكمال المعسكر وأعمال الريادة، فقط أؤكد عليكم أن تحصلوا على نسخة من

"بردية إيزيس"، ستقوم بتوزيعها عليكم القائدة ملك وأنتم خارجون من هذه القاعة، أذكركم كلما قرأتم من هذه الرواية في أوقات راحتكم كلما استفدتم من المحاضرات والمعسكر كله بشكل جيد، احصلوا على نسختكم واستمتعوا".

وبعد أن انتهى القائد منتصر من كلامه فيعلم الجميع أنه ثرثار ولكن لمحبتهم له وإدراكهم أهمية وجوده ومدى تأثيره في النفوس على نحو جيد يحتملونه، أخذت القائدة ملك الميكروفون منه كأنها تنتزع من لحمه قطعة وقالت "عليكم في النصف ساعة القادمة أن تعدوا حقائبكم جيدًا في الخيمة وغيروا ملابسكم وتستعدوا لاستكمال المعسكر"، ثم قالت بحزم: "فريق انتباه" فوقف الجميع صامتًا في الوضع انتباه ثم "انصراف"

كنت قد أدخلت وقتها ببرنامج المعسكر أجزاء من البردية التي حصلت عليها واخترت منها المناسب لدروس القيادة كما اتفقت مع الصالح ومع قادة الكشافة، وجمعتها بكتاب صغير وشجعناهم على قراءتها لمناقشتها أثناء المحاضرات والأنشطة المختلفة.

انتهزت أنا انصراف الجميع وذهبت للصالح وقلت له: "هل فكرت فيما قلته لك بخصوص ما يريبني"، رد الصالح علي: "في الحقيقة كنت أفكر في ذلك، وإن لاحظت فقد ألقيت بعضًا من العبارات والكلمات في محاضرتي تشجع على التسامح والمغفرة فداخل فريق العمل الواحد لابد وأن تكون هناك شفافية ووضوح"

"لاحظت فعلًا هذا، وأرجو أن يكونوا تنبهوا لما قلت وخصوصًا فاتن وأحلام، ومازن وعاكف فهم أكثر الناس تخاصمًا، ولا تكفي الكلمات وحدها، أظننا نحتاج أن نجلس معهم بشكل شخصي ونحاول تعديل مفهومهم"

"كنت أيضًا أفكر في هذا، سنستغل اليومين القادمين، ساعدني في ذلك يا يوسف"

"بالطبع سأفعل".

تركنا بعضًا، واستدرت خلفي خارجًا من القاعة فشاهدت من بعيد الفتيات تدخل الخيمة التي تخصهن، وتسمرت حينما وقفت تلك الفتاة عند باب الخيمة لحظات قبل أن تدلف إليها.

الساعة ٥: ١١ص (داخل خيمة البنات)

-فتحت باب الخيمة، تحمل على كتفيها الأيسر شنطتها، بعض الفتيات جالسة في الخيمة، ينظرن إليها بحقد يتمنين لو كن في جمالها.

-جميلة القوام، بهية الطلعة، تنشر حنانًا متى حضرت، تنثر عطرًا متى تكلمت، أرض تفيض نِعمًا، اعتنى بها فلاحًا أصيلًا، لها عيون شرق آسيوية وثغر هادئ، لسانها طيب وكلماتها حلوة كالعسل تسقي من حولها، نشيطة دؤوبة مفعمة بالحياة تتعدد مواهبها وشخصيتها جذابة وحماسية وهيلانة اسمها.

ربما لا تستطيع هيلانة أن تكمل العمل حتى آخره، وتتصرف بتهور مندفع في كثير من الأحيان، تقفز إلى الاستنتاجات ولا تخوض في التفاصيل، غير صبورة وعلى عجلة دائمًا من أمرها، لا تعرف للوقت معنى وقراراتها سريعة دائمًا.

ناجحة جدًا في عملها بالتدريس بالجامعة، يتجرع طلابها اللغة الفرنسية كأنهم يحتسون شوربة الفراخ، يحبها طلابها ويفتخر الكثير بالتلمذة تحت يدها، تجيد الرقص وتحب الناس وتأبى القيود، تستطيع

الاعتماد على نفسها، تعمل وتخدم، تحب وتعشق الرومانسية، تشم رائحة العشق وتنشره على كل من حولها، مسز هيلانة.

اندلفت هيلانة إلى الخيمة لتقف في الوسط، وتدخل خلفها صديقتها دينا، ووسط تجمع الفتيات حولهن، اقتحمت الخيمة فجأة القائدة ملك (وهي قائدة المعسكر)

وقالت بلهجة شبه عسكرية مع ابتسامة حاولت أن تتصنعها: "مساء الخير يا قائدات، معكن ٢٥ دقيقة فقط، يكفي هذا الوقت لترتيب ملابسكن وترتيب حقائبكن، فأنا أرى أمامي خمس قائدات رائعات، أتمنى أن أرى نفس العدد في أرض المعسكر فنقصان واحدة يعنى الضرر للكل، دمتم سعداء، أنتظركن" ثم خرجت تاركة باب الخيمة مفتوحًا وتاركة خلفها ضغائن دفينة في نفوس الفتيات حتى بعدت ثلاثة امتار فاقتربت أحلام وأغلقت باب الخيمة حتى انفجر الجميع بإلقاء السباب والشتائم عليها.

"أنتظركن"، قالتها أحلام بسخرية وهي تخرج لسانها خلف باب الخيمة المغلق.

-أسرعت هيلانة تأخذ ركنًا وتفتح رواية "بردية إيزيس" فضربتها صديقتها دينا على كتفها "ماذا تفعلين؟" فانزعجت هيلانة ممتعضة من الضربة التي آلمتها وقالت وهي تدلك كتفها الأيسر: "ماذا يادينا؟ ماذا تريدين؟"

ردت دينا "هل ستقرأين الرواية الآن؟ ألم تسمعي ملك تقول غيروا ملابسكن لم يتبقَّ سوى وقت قليل يا هيلانة".

"اتركيني، أنا أريد أن اقرأ الرواية ولا يهمني ملك هذه، فقط حمسني القائد الصالح لقراءة الرواية، ولن أنتظر حتى أرتب حقائبي"

"أنتِ حرة" قالتها دينا، وهي تلوح بيدها تاركة صديقتها المقربة تفعل ما يحلو لها فهن صديقات منذ أكثر من عشرين عامًا، كانا دائمًا معًا في كل المراحل الدراسية، لعبوا في الحياة أدوارًا كثيرة ولهن في الجعبات أقاصيص وحكايات.

لم تنل دينا الكثير من الحظ الوافر بالمواهب، لكنها كانت على قدر كبير من العطاء يسمح لأي امرئ أن يحبها ويحترمها ويقدر التراب الذي تسير عليه.

كانت دينا خير صديق يصفونها في عائلتها بالأسد الأنيق، تحمل الكثير وتتحمل الأكثر، تعطي دائمًا وقلما تأخذ، حظها قليل في الحياة، تحمل داخلها تناقضات تسبب لها الكثير من المتاعب، ولكن لا تسبب للآخرين أذى أو ألمًا، يفتخر بها والدها وتعتز بها أمها وأخواتها.

لها دور قيادي ومؤثر في المجموعة الكشفية خير مثال وقائد يشعر جيدًا باحتياجات الآخرين، تنسحب وقت الصراعات وكأنها سلحفاة تدخل داخل صومعتها كي لا يزعجها أحد، تنظر دومًا للأمام، تتسلط في بعض الأحيان، ربما تركب المواقف لتصبح سيدة الأمور، ولكن من لا يحتمل مشاكل أنثى كثيرة العطاء.

تعشق دينا اللغة الألمانية وتقوم بتدريسها في الجامعة، قلما تجد لها حلمًا أو طموحًا فهي بسيطة جدًا ولا ترغب في الحياة الكثير فقط أن تبقى الأمور على ما يرام، دينا ممتلئة الجسد مع رأس دائري وعيون واسعة وابتسامة رائعة وإذا ضحكت يتحرك جسدها كله معها، لم يكن جسدها أبدًا عائقا أمام نشاطها وانطلاقها، تتحرك وتقفز بين طلابها، بهمة وحيوية.

شعرها أسود حالك ينسدل كستار الليل مصفف دائمًا، صوتها عالٍ ودائمًا عاليًا، فهذه مشكلتها التي تواجهها مع الجميع، والقريبين منها يدركون أن هذا ليس عيبًا، إنه ما يميز دينا دائمًا، عالٍ.

في الخيمة بدأت هيلانة بقراءة الرواية. لم تبدأها من أولها فقط فتحت على صفحة وعندها بدأت تقرأ .... وتستمع بما تقرأه.

الإسكندرية – القرن الثاني الميلادي

تركت إيزيس الرسالة التي أرسلها ابنها دون حتى أن تشكر الفارس الرسول الذي وصلها إليها، وأغلقت في وجهه الباب، ودون اهتمام تركت الرسالة جابنًا على الأريكة الخشبية داخل ساحة المنزل ثم ذهبت لتعد مشروبها الساخن ودخلت توقظ ابنتها تي تي حتى يذهبن للمعبد سويًا ليحضروا الخدمة النهارية بالقداس، فمنذ أن وطأت أرجلها الإسكندرية لم تحضر الخدمات وهي كانت على علم بأن الكاهن أنوبي هو الذي سيقوم بالخدمة اليوم، وهو كاهن قديم تعرفه جيدًا منذ زمن قبل أن تبحر إلى روما.

"هيا يا تي تي قومي" قالتها وهي تفتح ستار الغرفة ليقتحم نور الشمس المكان فيزعج تي تي من نومها.

"ماذا؟ ماذا تفعلين يا أمي؟ أغلقي هذه النافذة مازال الوقت مبكرًا جدًا"

"ما هو هذا المبكر يا تي تي لقد تأخرنا على القداس، هيا قومي لتذهبي معي" يبدو أن إيزيس تعيد مجد وذكريات الماضي من النشاط والحركة وبدأت تشم نسيم الهواء القادم من بحر الإسكندرية من شباك الغرفة وهذا ما جعلها لا تسمع جيدًا كلام تي تي وهي تقول: "لا لن أذهب يا إيزيس.. اتركيني أنام" ويبدو أن الكلمة الأخيرة ظلت تتردد كصدى الصوت في أذن إيزيس فنسيم البحر ألهاها وكأنه ساحر قدم عرضًا للتو أبهرها وظلت الكلمة قادمة من بعيد حتى اقتربت من أذنها جيدًا ثم

نزلت على لسانها فتساءلت "اتركيني أنام؟" فاستدارت إيزيس فجأة وبحركة واحدة سحبت الوسادة من على رأس تي تي وصرخت "هياااااا، قومي"

بدأت تي تي تتململ وتفرك وتمطع جسمها وتؤفئف.

"لماذا هذا اليوم، ألم تكفيكِ المعابد في روما طيلة عمرنا، حتى تدخلي معابد الإسكندرية"

فردت إيزيس بنشوة وهي تقوم بطي بعض الملابس "معابد الغربة ليست مثل معابد الوطن، السيرابيوم هو المعبد الذي نشأت فيه وتربيت ليس له مثيل ولا يقارن بمعابد روما، لقد ولت الأيام العجاف نحن في زمن النعيم"

"عشقك هذا للآلهة سوف يقودك إلى الجنون"

"ويعشق الجنون من عشق الإله"

"يومًا ما سنبحث عنك بين دراويش حورس"

"كفى يا سليطة اللسان، وهيا بنا لئلا يفوتنا شيء"

كانت إيزيس تعشق المعبد الذي تربت فيه، إذ كان يقودها والدها في الصغر في أوقات العبادات وهو الذي رباها جيدًا على محبة أوزوريس وسماها إيزيس تيمنًا بالإلهة الحنونة، إذ هي التي فتحت ثمرة بطن زوجته التي كانت لا تنجب ثلاث سنوات، فكان نذره إن جاءت اثنى يسميها إيزيس، وكان دائمًا يغرس في قلب ابنته أن اسمها لم يطلق عليها أبدًا بلا قصد، وأن كلًا منا له نصيب من اسمه، وحينما توفى والدها وهي في سن صغيرة -الثانية عشر من عمرها- ظلت تلازم معبد السيرابيوم وتتزوج وتنجب ابنتها تي تي وبعدها بعشر سنوات تنجب ابنها آمون وما إن يصل عمره الحادية عشر تقرر الأسرة الرحيل إلى روما بحرًا هربًا

من بطش الرومان، ويتوه عنها ابنها وسط زحام الناس وركبوا السفينة دونه، ولكن لا عودة، وأثناء الرحلة في البحر والتي استمرت شهرًا بسبب تلاطم الأمواج ووقوفهم كثيرًا على جزر وموانئ، مات زوجها إذ كان مريضًا كما أن فقدان ابنه أثر عليه وزاده ضعفًا، وحينما وصلت إلى روما دفنته هناك وأكملت حياتها مع بنتها تي تي عشر سنوات وتغيرت الأحوال والإمبراطور الروماني الجديد دعا كل المصريين المهاجرين إلى عودتهم لمنازلهم، فقررت إيزيس أن تعود إلى مصر مع ابنتها، وحينما همتا بالرحيل من عند ميناء على ساحل روما، اكتفت السفينة القالعة من الميناء بالعدد ما عدا مكان لشخص واحد فقط، فكان لزامًا عليهن أن تختار واحدة السفر هذا الوقت وتبقى الأخرى في روما شهرًا آخر حتى تقلع سفينة أخرى، قررتا دون حيرة أن تسافر تي تي أولًا وتبقى أمها للشهر القادم وخصوصًا أن إيزيس قد أصابتها نزلة برد حادة ولن تقوى على السفر ودوار البحر، وبالفعل جاءت تي تي إلى منزلها بالإسكندرية ثم شهرًا وجاءت إليها إيزيس أمها وحضرتا العرض المسرحي ولم تحكي لها تي تي ماذا فعلت خلال هذا الشهر سوى أنها حينما عادت إلى بيتهما القديم في الإسكندرية سألت في كل مكان عن آمون شاب بالعشرين ربما يكون عبدًا أو تاجرًا أو أي شيء فدلوها على الجندي آمون مشهورًا بفروسيته صورة، وحينما سألت الوحدة العسكرية بالإسكندرية علمت أنه يقود معركة بمعسكر حربي بالقرب من مدينة منف، فسافرت تبحث عنه هناك، ولم تحكِ لإيزيس عن أية تفاصيل حدثت بمعسكر منف سوى أنها لم تجد آمون وأنها تعرضت لأهوال يشيب لها الرأس وقد كادت أن تموت لولا عناية رع لها.

استعدتا السيدتان للخروج من الباب وعلى عتبته قالت تي تي: "اسمعي يا إيزيس لن أحضر كل الصلوات، سأذهب إلى السوق حتى نشترى كل ما نحتاجه" ضربتها إيزيس ضربة خفيفة على كتفها مع قرصة أموية بها عطف وآهات دلع من تي تي وهي تقول: "تعشقين التسوق والشراء أكثر من الآلهة والمعابد"

"السوق معبدي، والمقتنيات آلهتي"

"الآلهة لا تقتنى يا مخبولة، هل ستخلصك مقتنياتك في العالم الآخر وتنصفك أمام ميزان ماعت، قولي لي إن كانت ستعبر معك على سفينة آتون"

"تسخرين مني؟ إيزيس إن الحياة هنا"

"اصمتي يا مخبولة فأنتِ لا تعلمين شيئًا، الحياة في روما لم تعلمك شيئًا، أنا لم أقم بتربيتك جيدًا، هيا تحركي" وقامت إيزيس بزجها خارج الشقة وأغلقت خلفهما ودفعتها كي تتحرك أمامها، فمن عادة إيزيس أن تجعل ابنتها تسير أمامها حينما تكون غاضبة، وأدركت تي تي خطأها وأنها زادت من الكلام ما لا تحتمله إيزيس فاستدارت للخلف ناحية يدها اليمنى لترجع خطوتين وتتشبث بذراع إيزيس بكلتا يديها وهي تميل برأسها على كتف أمها محاولة أن تستشف عطفها وهن سائرات "إيزيس الحنونة الجميلة لم اقصد أبدًا أن أضايقك، أنتِ تعلميني فقط أنا احب الحياة واستمتع بها"

"هكذا أنتم يا شباب هذه الأيام تريدون أن تعيشوا حياتكم ولا تنظرون أبدًا إلى حياتكم الأخرى التي هي أهم"

خفضت تي تي رأسها لتقبل يد إيزيس وقالت: "سامحيني يا أمي.. ذلة لسان، اطلبي عني أن يساندني أوزوريس أمام ماعت".

وقفت إيزيس عن السير وواجهت تي تي وردت وهي تبتسم " يا ابنتي ليكن أوزوريس في ظهرك وتحوت أمامك، وليكن قلبك وزن الريشة، ليعينك على العبور للبوابات للعالم الآخر.. آمون، هيا تحركي لئلا نتأخر عن المعبد"

سارتا الاثنتين في الطريق إلى معبد السيرابيوم وكانت شوارع الإسكندرية كعادتها رطبة دائمًا والجو كان خريفيًا، ومعظم الحوانيت مغلقة فيبدو أن سكان المدينة يسهرون طيلة الليل كما تنبع رائحة نتنة من الخمارات وأماكن السكر والعربدة، تظهر المدينة الصاخبة بأصوات المغنيات والباغيات والطبول والرقص والمجون من خلال الصمت الظاهر في الشوارع والأبنية والأحذية الملقاة في الشوارع، والملابس الداخلية الممزقة على الأرصفة ، والكؤوس المكسورة فيمكنك أن تكتشف ما دار بالأمس في الليل من عربدة من خلال ما تراه بالنهار وإن كان الصمت يخيم على المكان.

كل هذا طبعا كان ثقيلًا جدًا على إيزيس فتسير وكأنها تدوس على عظام أموات وهي في طريقها إلى المعبد المقدس.

تتشبث تي تي بذراع أمها وهي تهمس "ما هذا يا أمي؟ يبدو أن الليل هنا كان صاخبًا!"

"لا أعلم ماذا جرى؟ لم تكن الإسكندرية هكذا منذ عشر سنوات، لقد أفسد الرومان كل شيء"

"حقًا يا أمي ماذا سيقع للرومان إذا واجهوا ميزان ماعت؟" سألت

تي تي هذا السؤال بتلقائية شديدة وبراءة طفولة تبدو على وجهها، وكأن سير الحديث يخدمها حتى تبرز لأمها أنها أيضًا تحاول أن تتدين ومهتمة بالأمور الروحانية، فتي تي ذكية اجتماعيًا ولها دهاءً يعجبك، وإيزيس بالطبع تفهم هذا وتدركه جيدًا، وربما تشجعها على ذلك.. فناولتها ابتسامة ذات مغزى أنها تفهمها جيدًا.

"لا أعلم يا تي تي ولكن قلب كل واحد هو الذي يقوده"

"ومن الذي يقود الناس يا أمي في طريق المحاكمة؟"

"يقود الإله حورس المتوفى من يده أمام اثنين وأربعين قاضٍ من أتباع الإله أوزوريس الذي يكون أمامه ميزان يقف إزاءه الإله أنوبيس، بينما يسجل الحكيم نحوت على لوحة كتابية نتائج وزن قلب الميت في مقابل الصدق أمام ماعت التي تكون واقفة أيضًا عند الميزان"

"وإلام تشير نتائج كفتي الميزان؟"

"يوزن قلب الميت في كفة، وأمامه في الكفة الثانية ريشة الماعت التي ترمز للصدق..

والصادق هو الذي يكون كفتي الميزان في وضع الاستقرار، أما الآثم فيكون هناك فرق في الكفتين".

انعطفتا السيدتان يمينًا ليظهر المعبد آخر الشارع فهتفت إيزيس في أذن تي تي

"أما زلت لا تريدين أن تخبريني ماذا حصل في منف؟"

"حينما تخبريني أنتِ بفحوى الرسالة القادمة من آمون والتي أتى بها الفارس صباحًا"

"أنتِ لم تكوني نائمة إذًا، يا لعوب أنا أعلم أنكِ تنامين نوم الذئاب

وتتنصتين على كل شيء"

" لا تهربي يا إيزيس من إجابة السؤال، ماذا يوجد بالرسالة؟"

"ما دمتِ تعلمين كل شيء إذًا فأنتِ تعلمين أنني لم أقرأها وألقيتها جانبًا"

"أعلم، ولكن لماذا؟ ألم يوحشك ابنك وتنتظرين منه أخباره؟"

"هذا لا يخصك، لقد أقسمت أن لا يرى وجهي حتى يعود عن تفكيره، ثم لا تهربين مني، ماذا حدث في منف؟" وضغطت إيزيس على ذراع تي تي حتى كادت أن تقصفه فصرخت تي تي وهي تتأوه قالت:

"وماذا حصل؟ لقد كانت ليلة وضحاها، والسفر ثلاث أيام ومثلهما في العودة"

"وما بين السطور ماذا كان مكتوبًا يا ابنة ستن " قالتها إيزيس وهي تحاول تلطيف الأمور. تداعب تي تي ابنتها بشيء من المكر على غرار – قولي الحقيقة فأنا أعلم كل شيء– ولكن تي تي آثرت أن تحتفظ بتفاصيل ما حدث بمنف لنفسها وردت عليها بخجل: "ما بين السطور بئر ودلو وشجرة توت وليل - حب وهجر وحياة وموت".

"ما هذا العشق؟ يبدو أنها ليست ليلة واحدة يا داعرة" وقرصتها إيزيس تجز على أسنانها ماذا فعلتِ يا ابنة ستن، أتهيني شيبة أبيكِ في مقربته؟"

تضايقت تي تي من قرصة أمها، واحتملت وابتلعت ريقها وهدأت أمها وقالت:

"لا تخافي على يا إيزيس يا حنونة، أنتِ ربيتِ ابنتك أفضل تربية، فلا تخشي أبدًا علي من مكروه، وسأظل أرفع راية أبي وفخرك لي وآمون أخي دومًا" سكتت إيزيس وهدأت وكف غضبها قليلًا لكن دون أن تنفرج

أسارير وجهها.

انتهى الشارع الموصل إلى المعبد، وحينما لاح منظره من بعيد قالت إيزيس لابنتها: "لقد تسامرنا وكثرت ثرثرتك ونسيت أن أتلو صلواتي قبل الدخول للمعبد"

"لقد تعلمت منك الكثير يا أمي هيا ندخل ولتعلمي أني لن أطيل في الداخل"

"تعلمتِ مني؟ طيلة عمرك وأنا أعلمك هذا الكلام وأردده كثيرًا.. يا رع أعني"

وحينما دخلتا .... شهقت إيزيس شهقة مروعة وكأنما رأت ميتًا.. فما رأته كان مرعبًا ومدهشًا جدًا.

العام ٢٠٠٩ - محمية وادي دجلا –
اليوم الأول – الساعة ١١:٣٠

تطلق صافرة الجمع بأرض المعسكر، يصطف القادة بجانب بعضهم.

القائد سالم وكنت على يمينه أنا والقائد سيد وعلى يساره القائدة ملك،

أما القائد الصالح كان يقف في نهاية المعسكر بجوار كومة تجميع العِصِي والحبال يتحدث مع فاتن التي كانت واقفة عاقدة ساعديها على صدرها ويبدو أن القائد الصالح يحاول تهدئتها من أمرٍ ما، ولكم من المعروف في النظام الكشفي أنه مع انطلاق صافرة الجمع يجب على الجميع التحرك أيًا كان موقعه أو موقفه، فأشار القائد سالم للصالح وكرر صافرة الجمع مرة أخرى، فأومأ الصالح برأسه إلى سالم ويبدو أنه أشار على فاتن بالتوجه بسرعة إلى أرض التجمع وتأجيل الكلام والتي هرعت بدورها لتلقي التحية وتدخل أرض الطابور وتقف في الوضع صفًا.

كان الطابور عبارة عن مربع ينقص ضلعًا، وكل ضلع تقف فيه طليعة، نادى سالم على عريف أول المعسكر لتدوير الطابور ومعرفة العدد.

عاكف ومازن، فاتن ودينا وجميلة ...الخ

رد العريف القوة ١٥ على الأرض ١٣ غائب اثنين

سأل سالم "من؟" رد العريف أول منتصر: "أحلام وهيلانة".

نظر سالم إلى القائدة ملك نظرة ذات مغزى، عرفت بعدها ما يجب عليها أن تفعله فأومأت إليه بما يفيد أنها فهمت مقصده وهمت لتنفيذ

ذلك فعلًا ...

"يومها قلت لمدحت أن عم بطرس ينادي عليك ،فذهل مدحت ونظر إلى عاكف مندهشًا، فأومأ عاكف برأسه وقال: نعم آمال تتكلم بصدق، لقد نادى أكثر من خمس مرات، إن والدتك تنتظرك فأمسك مدحت ووضع فيها قطعة من الحلوى وقال لي: "احتفظي بهذه يا أحلام حتى أعود ولا تأكليها، سأذهب لأمي على باب المدرسة وأعود سريعًا -وأنا وعاكف نمسك أنفسنا من الضحك بالعافية- حتى جرى ناحية الباب وكان هناك يجلس عم بطرس البواب، فانفجرنا أنا وعاكف بالضحك لننظر فجأة خلفنا لنجد السيستر نادية تضمنا في حضنها وتهمس في آذاننا "علام تضحكون يا ملائكة أنتم؟"

"بالطبع لن تقولوا الحقيقة لسستر نادية" انطلقت العبارة الأخيرة هذه بصوت حاد متحشرج صادر من حنجرة القائدة ملك والتي دلفت فجأة إلى الخيمة، ويبدو أنها كانت تقف آخر ثلاث دقائق قبل أن تطلق صوتًا وتكمل "صحيح هذا يا أحلام؟"

فوقفت هيلانة وهي تسقط من يدها كتاب الرواية مصدومة، وقالت أحلام وهي تضحك "ملك؟ منورة، طبعا قلنا الحقيقة ثم أن....." قطعها صوت ملك الصارخ "انتباااااه"

فوقفتا الفتاتين في الوضع انتباه بوجوه حادة.

"ألم تسمعا صافرة الجمع؟ ألم تكن في أيديكما ساعة لتدركوا أنها أصبحت ١١:٤٠، أتركتم كل شيء لتحكوا قصص الطفولة ومغامراتكم مع الشباب؟" هنا اندفعت أحلام بحدة

"ليس لنا حكايات مع الشباب، وإذا تفضلتِ لا تزيدي ولا تتجاوزي

حدودك، تأخرنا؟.. بلى،

أهملنا موعد الجمع؟ .. بلى، غير هذا ليس من حقك أن تتهمينا بأشياء لم نفعلها.

اندهشت ملك بكلام أحلام وردها السريع وعقدت يدها خلف ظهرها وأخذت تدور حول الفتاتين وهي تقول بابتسامة صغيرة ساخرة تحمل في طياتها غضب الدنيا "ياسلاااام انظروا ماذا لدينا هنا؟ لدينا فيلسوفة تتحدث عن الحدود والحق".

رفعت أحلام يدها محتجة "إنه حقي وحدودي وليس ...." فقاطعتها ملك بحدة "لم أأذن لك أن تتكلمي" فصمتت ملك وبقيت في الوضع انتباه كهيلانة التي لم تنبس ببنت شفة أبدًا.

واستدركت ملك: "هنا نظام.. الكشافة نظام.. التجمع ذاتيًا في الساعة الحادية عشر وثلاثون دقيقة، إذا يجب أن تكونوا في أرض المعسكر في الحادية عشر والثلاثون دقيقة بالضبط دون حتى صافرة.

هنا الحركة بميعاد، والكلام بميعاد، والأكل بميعاد، والنوم بميعاد، إن لم تستطعن الالتزام يمكن أن نرسلكن إلى بيوتكن من الآن، أسمعتم كلامي؟" فأومأت هيلانة برأسها تؤكد أنها سمعت الكلام وقالت بصوت خافت: نعم، أما أحلام فلم ترمش طرف أبدًا فمالت ملك على أذن أحلام من ظهرها وهمست "في المرة القادمة لن أكتفى بما قلته، ولكن سيكون عقابًا شديدًا لكما" ثم رجعت ملك خطوة للخلف وعلت صوتها "والآن انصراف" تحركتا هيلانة وأحلام في هدوء وسرعة متجهتان إلى الطابور.

معبد السيرابيوم (٣) - كانوب الإسكندرية – القرن الثاني الميلادي

هذا المعبد واحد من أكبر المراكز الدينية في مصر في ذلك الوقت، والاحتفالات والطقوس الشعبية وصلت إلى الحد الذي بات فيه المعبد نموذجًا للمعبد المصري المثالي،

فأمام البوابة يوجد فناء واسعًا، الفناء المقدس به مدافن الآلهة ويقع على مسافة من فناء آخر يضم عددًا لا بأس به من أعمدة.

وإذا ترجلت قليلًا داخل هذا الفناء المقدس تجد محاريب مخصصة للإله أنوبيس وهرمس الهرامسة (العبادة التي نشأت بين الإلهين هرمس وتحوت)، ويوجد محراب آخر يضم حربوقراط وآلهة أخرى؟

وهناك عدة أحواض بها مياه مخصصة لطقوس عبادة إيزيس ولكن معظمها جاف

وعلى ما يبدو أن ما رأته إيزيس كان مروعًا ومذهلًا بشدة.

أين محاريب الإله أنوبيس؟ ثم ما هذا الذي أراه فوق مدافن الآلهة ما السوق هذه؟ لماذا باعة العطور والرياحين والأعشاب يتراصون هكذا ثم ما هذا الصوت الذي أسمعه؟

ثم تحركت إيزيس وخلفها تي تي حتى وصلت نهاية الفناء المقدس وشهقت مرة أخرى أمام تي تي التي شهقت مع حشرجة في صوتها؛ فقد رأت بين الأعمدة حظائر أغنام منفصلة وصوت الأغنام ورائحتها تنتشر بقسوة في الساحة، ولما لم تطق رائحة الحظائر وضعت يدها على أنفها واتجهت ناحية أحواض المياه لكي تغتسل وتتطهر ولكنها صدمت أيضًا

وكانت هذه المرة في ذهول تام،

"ما هذا؟ أين المياه؟ أين المياه التي تغتسل بها يا إيزيس وما كل هذا الشحم واللحم؟ عوضًا عن المياه وضعتم دماء وشحوم الذبائح؟

حاولت تي تي أن تهدئ من روع أمها وأن تقول شيئًا، ولكن كان صوتها أشبه بصرخات مدوية حتى خرج شاب طويل أقرع له بنيان عضلي يشبه الجنود لابسًا إزارًا من الكتان على إثر صوت المرأة وقال لها: "ماذا يحدث سيدتي؟ أتوجد مشكلة؟ أيمكنني المساعدة؟

ردت إيزيس: "أهذا هو معبد السيرابيوم صحيح؟"

رد الشاب: "بلى هو السيرابيوم"

"إذا ما الذي يحدث هنا، لقد جئت منذ خمسة أيام إلى هنا لأصلى بداخل المعبد ولم أجد كل هذا،

لماذا أحواض الاغتسال التي للإلهة إيزيس مملوءة بالدماء وشحوم الذبائح وما هذه العطور والأعشاب فوق محاريب الآلهة والغنم بين أعمدة الفناء المقدس، إنني في سوق وليس معبد"

رد الشاب بهدوء محاولًا تهدئة الأم إيزيس: "هدئي من روعك يا أمي ونظمي نفسك جيدًا، الأمر بسيط هل لك زمان لم تأت إلى المعبد؟"

"نعم لي أكثر من عشر سنوات".

"لذلك لا تعلمين، أنا ديونيسيوس خادم المعبد ورئيسه جئت هنا منذ أربعة سنوات بأمر من الإمبراطور الروماني، وأنا من قام بتنظيم كل هذا وجعلت هنا سوق يومًا واحدًا في الأسبوع يسمى سوق الجمعة، يأتي فيه البائعون من كل صوب واتجاه ودول كثيرة يتاجرون هنا"

لطمت إيزيس على وجهها وكادت أن تصرخ وتولول، لولا أن تي تي

وضعت يدها على فم أمها وقالت تي تي للخادم: "من الذي سمح لك بأن تقيم سوق بالمعبد؟ وما موقف الكهنة من هذا؟"

"لم يتبق هنا سوى الكاهن أنوبي، فبأمر الإمبراطور الروماني عزل باقي الكهنة وأنا الذي نظمت هذا السوق وأجلب التجار إلى هنا، وأساهم في حل مشاكل تجارتهم"

كانت كلمات الخادم وقع طلقات الرصاص في صدر إيزيس، مع كل حرف وكلمة، منعها بكاؤها عن أن تصرخ وكادت أن تسقط على الأرض لولا أن لحقتها تي تي فوقفت وقالت وهي تدمع وتبكي: "أريد رؤية الكاهن أنوبي من فضلك".

رد الخادم: "يمكنك أن تدخلي للقدس وبعد الخدمة النهارية يمكنك الحديث مع الكاهن أنوبي كما تشائين"

ربتت تي تي على ظهر إيزيس، وسحبتها في هدوء إلى داخل المعبد التي استجابت لها دون أي مقاومة وكأنها مخدرة مما يحدث، وترجلتا داخل القدس رافعة رأسها لأعلى تترجى وتتمتم بكلمات لا تسمعها تي تي.

بعد انتهاء طقوس الخدمة النهارية وانصراف الناس بعدما قدموا قرابينهم، استوقفت إيزيس أنوبي كاهن المعبد وقالت:

"أنوبي كاهن أكبر المعابد والأكثر شهرة في الإسكندرية والأكثر رواجًا فيرتاده أكثر من نصف سكان البلدة ويأتون إليه من الأقطار المصرية وروما".

تعجب أنوبي من هذا الإطراء المزدوج بقليل من السخرية إلا أنه أبدى احترامًا يليق بالسيدة التي أمامه وقال في حذر: "أشكرك سيدتي الجميلة، على هذا الإطراء، ولكن هل لي أن أتأكد أنني سمعت هذا الصوت العذب

ورأيت هذا الوجه الجميل مرة قبل ذلك الحين؟"

" قل مرات كثيرة، أنا إيزيس ابنة سلوكاس، هل عشر سنوات أنستك إيزيس ابنتك المفضلة سيدي الكاهن؟"

"إيزيس.. ليس معقول لقد غيرتك السنين، إن عشرة سنوات مروا وكأنهم ليلة واحدة، أين زوجك وأولادك؟ هل هذه ابنتك تي تي؟"

" نعم، هي تي تي ولكن عندي حديث معك في غاية الأهمية"

" تفضلي تكلمي يا إيزيس، أنتِ تعلمين معزتك عندي" قالها أنوبي وهو يتحرك ليعطي كتفه إليهما ويحمل في يده المجمرة يخرج منها بقايا البخور والفحم لتنظيفها.

"عذرًا سيدي الكاهن لماذا أكثرت من قرابين الناس، وهل تحتاج الآلهة إلى كل هذه العطايا والتقدمات؟"

فاستدار أنوبي وسلم المجمرة إلى الخادم الذي جواره ليكمل نظافتها وقال لها:

"الآلهة لا تحتاج، ولكن الناس في حاجة إلى عطايا الآلهة"

"وماذا أعطتهم الآلهة ليدفعوا ثمن ذلك من عجولهم وخرافهم وقرابينهم"

"إن عطايا الآلهة لا تباع ولا تشترى، فقط رضاهم عن الناس هو ما يحتاجه الناس"

"أو لا ترضى الآلهة إلا بكثرة الشحوم واللحم والدماء الغزيرة، لقد سئمنا من تلك الروائح النتنه ألا خلاص ولا مفر من هذا"

ويبدو أن كلامها الأخير هذا أثار حنق الكاهن أنوبي فرد بشيء من الغضب:

"إيزيس: أتكفرين بعمل الآلهة؟"

"وما عمل الآلهة هذا أن تطلب الكثير ويهرب الناس من المعابد"

"ومن قال أن الناس تهرب من المعابد، الناس كثر وحولنا كل يوم"

"وما هذه السوق يوم الجمعة؟ هل لكي تجلب الناس أم أموالهم وتجارتهم؟"

نظر إليها أنوبي وبشيء من الضعف جلس على كرسي خشبي، وقال بشيء من الحزن والأسف

" ديونيسيوس هو الذي فعل كل ذلك، وأنا أبدًا لم أوافق على ما يحدث، وهتفنا كثيرًا والكهنة الذين كانوا هنا نثور على الوضع إلا أن كل كاهن يثور ويراسل الإمبراطور كان ينقل إلى معابد قبلية أو يقتل في ظروف غامضة، فآثرت الصمت لأني أعشق أوزوريس كما تعلمي وخدمت في السيرابيوم طيلة عمري ولن أتركه أبدًا"

انفرجت أسارير إيزيس بعد سماعها لتلك الكلمات، وكأنها عزف موسيقي أطرب أذنها، وهرعت تركع تحت قدمي أنوبي وتقول له:

"كنت أعلم أنك محبٌ لآمون وخادم حقيقي لأوزوريس، سامحني إن كنت أسأت الظن بك يا سيدي، فأنت تعلم جيدًا غيرتي على المعبد ومحبتي التي أكنها إليك معلمي وأبي وصديقي أنوبي الكاهن العظيم"

- ربت أنوبي على رأس إيزيس وسقطت دمعة حارة على رأسها من عينه شعرت بها إيزيس، فرفعت رأسها وقالت: "لا تبكِ يا أبي، هل من طريقة للتفاوض مع ديونيسيوس هذا؟"

رد أنوبي بأسى شديد.

" ديونيسيوس محب للمال منذ صغره، فكانت وظيفته هنا منذ

سنوات يحمل القرابين وأدوات الطقوس إلى المحاريب والموائد ودق الموسيقى ودور مهم في الجنازات، إلا أنه استطاع بمكره ودهائه وعلاقاته الكثيرة إذ كان يحمل الجنسية الرومانية استطاع أن ينال رضى الإمبراطور، فعينه رئيسًا على كهنة معبد السيرابيوم، ومنحه الصلاحيات لفعل أي شيء يريده، وما إن اعترض عليه أحد نقله معبد آخر أو يختفي في ظروف غامضة، هذا هو الحال يا بنيتي"

طق طق طق طق – كان هذا صوت طرقات يد ديونيسيوس، الذي ظهر فجأة ودلف إلى الحجرة التي كانوا يجلسان بها – وقال بصوت واضح وحازم.

"رائع حديثك هذا سيدي الكاهن، وصفت كل شيء بمنتهى الدقة والتفصيل، هل يا ترى جاءتك تلك الجرأة لأنك وجدت حبك القديم" ثم توجه ناحية إيزيس ونظر لها بخبث

"حب مع امرأة أربعينية جميلة الوجه والقوام"

هب الكاهن أنوبي واقفًا أثر هذه المفاجأة مندهشًا، وازدادت دهشته خصوصًا بعد ردة فعل إيزيس على كلام ديونيسيوس المستفز،

فقد كانت ردة فعلها حادة وقوية ومؤلمة بحق.

العام ٢٠٠٩ - محمية وادي دجلا –
اليوم الأول – الساعة ٣:٠٠– وقت الغداء -

يقف القائد سالم ومنتصر في مقدمة توزيع الطعام، فهو يستلم السمكة المقلية من يد القائدة ملك التي تقوم بقلي السمك وتسلم للقائد منتصر الذي بدورة يضعها ساخنة على الطبق المتقدم والذي بدوره يمر بالقائد سالم الذي يضع له الأرز والسلطة وحبة ثمار الفاكهة وهذا النظام يجعل مستلم الطعام يقف ثلاث دقائق ينتظر السمكة المقلية حتى يبدأ بالتحرك هناك في آخر المطعم كان يقف الصالح مع قائد سيد وأنا نتبادل الأحاديث واستغل الصالح الثلاث دقائق التي يقفها كل شخص عند استلام الطعام ليتكلم عن كل أحد قبلًا وكان أولهم سالم فقال الصالح عنه" العلامة في حياة سالم أنه لا يقدر قيمة الوقت أبدًا يأتي متأخرًا دومًا" ضحك سيد ووجه كلامه للصالح "من بعض ما عنكم يا قائد".

ضحكنا جميعًا وتابع الصالح "يا سيد، إنه لا يبادر أبدًا في عمل شيء وإن كان يتقنه، مرت به السنون لتجد خطوطًا بيضاء ترسم شعره على الرغم من أنه لم يتجاوز الثلاثين بعد ولم يعرف كيف يضبط مواعيده، فقلت له: "وما الأمر الغريب في هذا تصيبنا الخصال البيضاء في سن مبكرة" "لم أقصد أنني أحكي فقط وليكن معلوم عندكم أنه متسامح جدًا يحتمل الإهانة بوجه صلب ولكن بقلب جريح من الداخل يظهر في غير أوقاته".

"سالم !!" قالها سيد بتعجب شديد مع ضحكة متهاونة.

أسكته الصالح بإشارة من يده لتهدئته وقال: "نعم إن سالم يبدو بطلًا ومنقذًا في بعض الأحيان، يظهر كمنقذ في اللحظة الأخيرة ويطبع ذلك في

أذهان الجميع ليس له عمل محدد ولا يعرف أي أخبار عنه، لا يتواصل مع أحد ربما المصلحة فقط تحدد ذلك.

-وضع سالم ثمرة الفاكهة أمام أول فرد بالمعسكر وكان يليه فاتن والتي انتظرت ثلاث دقائق حتى تقوم ملك بقلي السمكة فكان لها نصيبًا من حديث الصالح عنها مع سيد في وجودي.

- "عنيدة ومتصلبة الرأي، لا تهتم بالتفاصيل وهذا نادرًا بالمجتمع النسائي"

"وما قيمة الاهتمام بالتفاصيل إن لم نجعل ما نهتم به على أرض الواقع" ضحكت أنا ضحكة مكتومة في سري من سخرية سيد فهو أقرب الناس له وصديقه المقرب ويعرف عنه كل شيء تقريبًا فرد الصالح بابتسامة "أنا أهتم بالتفاصيل التي تكون محور الأمور، أنا صفر تنفيذ لكني افعل ما لا تستطيع فعله يا سيد " ضحك سيد بخبث وقال اكمل حديثك عن فاتن"

"كما تراها هكذا عاقدة ساعديها معظم الوقت فهي معترضة دائمًا على الرغم من جمال وجهها وله ملامح هادئة إلا أن ابتسامتها الصفراء تطفئ ذلك الجمال وتجعله باهتًا "رد عليه الصالح وقال: "إلا أنها تعتمد على نفسها ويمكن الوثوق بها، أرى فيها قائدًا جيدًا ومؤثرًا في الكشافة" "بلى، أوافقك تمامًا فهي قوية واستقلالية ويظهر ذلك في مشيتها العسكرية والتي لا تتناسب تمامًا مع أنوثتها، لعل هذا ما جعل اسمها يتناسب مع شكلها (فاتن)".

ضرب سيد كتف الصالح ضربة خفيفة "لا تسرح بعيدًا بخيالك يا صالح، إنها ابنه من بناتك التلاميذ" "لم اقصد شيئًا فقط أتحدث".

أخذت فاتن سمكتها والأرز وسلطة وحبة ثمرة الفاكهة واتجهت

لتجلس معطية ظهرها لسعيد وبدأت في الأكل دون أن تنظر لأحد.

"أحلام تظهر دائمًا بشخصية الضحية المظلومة في جميع المواقف"

لا أعرف لماذا الصالح يتحدث هكذا عن أحلام، وقتها كنت أتعجب من حديثه عن الناس المستمر وثرثرته الكثيرة الأمر الذي اكتشفته بعد أعوام أن ذلك من طبيعته ولا يقصد به شرًا، على الرغم من أن ذلك سبب لنا المتاعب كلنا في الكشافة فالثرثرة دائمًا عنده ولا يقصد أبدًا ما يقوله فهو يتحدث عن الكل أمام الكل، لا يقصد وقيعة لكنه ثرثارًا، أجد في ذلك غباء لا محال وتصرف لا يليق بالقادة ربما هي أحد العيوب التي لم يستطع الصالح أن يتركها على الرغم من نصائح الكثيرين له فهو يدرك حقًا فظاعة أفعاله، ولكن الطبع غلاب.

أحلام السمراء الجميلة ليست قوية بالطريقة التي تجعلها منتصرة في كل المواقف فتبدو أنها ضحية مظلومة لقد ركزت اهتماها بدراسة الأنثروبولوجي حتى أنها أنجزت الماجستير قبل أن تكمل الثلاثين وناقشت رسالة الدكتوراه العام الماضي، عاشقة العلم فاختارت أن تؤجل الزواج على الرغم من جمالها وأنوثتها الطاغية فلا مكان لعش رجل في قلبها هكذا أنا أرى الأمور، وكذلك يراها الصالح.

"هاربة دائمًا ومختفية، يأكلها العشم حتى لم يبقَ منها فتات وعلى إثر ذلك نالت الكثير من الجروح، تنجز الأعمال جيدًا في الكشافة تعمل بجد ولها أنشطة اجتماعية كثيرة"

رد سيد "حقًا أحلام رهيبة لها أنشطة اجتماعية كثيرة"

"ومع ذلك لا تريد أن تعرف أحدًا حق المعرفة، تريد دائمًا أن تبقي علاقتها سطحية لا تعطى إلا القليل من المشاعر، تسقط كثيرًا على الأرض

مغمى عليها"

فتدخلت في الحديث "يغمى عليها لأن نشاطها مستمر دون راحة" رد الصالح "ليس ذلك فقط بل لأنها ضعيفة ولا تأكل جيدًا".

عاكف شاب في بداية الثلاثينات قصير القامة عريض الأكتاف له وجه صارم تظهر عظام الوجنتين على وجهه فتعطيك شعورًا بالجدية والحسم، شعره كثيف ويطيله بشكل لا يتناسب مع وجهه المستدير الصغير له يد قوية فإذا صافحته كأنك صافحت قطعة حديدية فاحترس لذلك.

ناجح في عمله كمحامٍ، منضبط ومنظم يتقن الالتزام بالمواعيد ويجبر الآخرين على ذلك، مبالغ في الاحتياط، خدوم وجدع وصاحب صاحبه.

كن عليه الدور في صف تناول الغذاء ولم يتكلم عنه الصالح كثيرًا سوى أنه قال: "احترس عندما تصافحه فربما يكسر يدك، حاد الطبع ولا يعرف معنى الكياسة في التعامل مع الآخرين، شكاك إلى حد ليس بقليل، بنك معلومات ولكني لن أتركه يساير الأمور في الكشافة كما ينوي"

كانت الكلمات الأخيرة لها صدد على أذهاننا فنظرنا أنا وسيد إلى الصالح نظرة حيرة وتسائل ويبدو أن سيد أسرع مني في الحديث،

فقال للصالح: "ماذا تقصد بما تقوله؟"

رد: "ستعرفون فيما بعد، الأهم الآن هيا ناكل"

وذهب الصالح ومعه سيد إلى الداخل ليحصل على الطعام من ملك مباشرة، لم يعجبني التصرف وذهبت أنا لأقف في الصف مع القادة أنتظر دوري في الطعام حتى قالت فاتن بصوت مرتفع إلى الصالح: "فلتقف في الصف أيها الصالح، التزم بالطابور هناك نظام".

واستطردت أحلام "هنا الحركة بميعاد، والكلام بميعاد، والأكل بميعاد،

والنوم بميعاد، إن لم تستطعن الالتزام يمكن أن نرسلكن إلى بيوتكن من الآن".

ضحك الصالح ضحكة خجل وقال لهن: "كفى كفى، أنا لا آكل السمك فقط سآخذ القليل من السلطة".

ووقف على عتبة المطبخ ولم يتحرك.

وقفت أنا في الصف خلف جميلة، والتي استدارت قليلًا لتقل لي بصوت رقيق: "أهلا يا قائد" مع ابتسامة واسعة هادئة.

عود نحيف لا يجذب ولا يثير، وابتسامتها جميلة، وضحكة تبعث البهجة والسرور في الأجواء عيونها كعيون الغزلان، شعرها كثيف طويل لونه أسود ترسله كجداول على ظهرها وأوقات أخرى كضفائر تمرجحهما،

يعلم الجميع عنها أنها لا تجيد الطهي، ولا تكترث لشيء، أرملة ولديها ابنا واحدًا، تقضي معظم حياتها معه، تجيد العمل كطبيبة أسنان.

شخصية جذابة لها بريق خاص هادئة تفضل أن تنسحب من كل الصراعات والخلافات، تشارك في جميع المناسبات، مجاملة بالدرجة الأولى.

أخذت جميلة سمكتها وتحركت للقائد سالم، كنت أنظر لها وأسرح حتى جاءني صوت في أذني "انجز يا قائد" استدرت خلفي لأجد هيلانة تبتسم وتقول: "نريد أن نأكل"

هيلانة، الحركة والنشاط المستمر والانطلاقة ونشر البهجة في كل مكان، العطاء الدائم، الحب الذي يسير على قدمين، امرأة حديدية بمائة رجل، قائد لا يختلف عليه الآخرون.

جلس الجميع للغداء وكان آخرنا سعيد، ربما نتحدث عنه لاحقًا.
جلست دينا ملاصقة لهيلانة أما أحلام على نفس الطاولة أمامهن
وجلس عاكف بجوار سيد،
وجلس مازن منفردًا
وجلست أنا مع سالم ومنتصر بعدما أنهوا توزيع الأكل للجميع.
وجلست ملك بجوار فاتن أما الصالح فكان بالمطبخ يغمس لقمته في الحلة واقفًا.

الإسكندرية -القرن الثاني الميلادي
شكوك حول الآلهة

أدارت وجه تمثال لأوزوريس وقالت: "أنت لم تعد إلهي"، ثم ألقت بتمثال أنوبيس على الأرض فاصطدم مكسورًا وهي تقول: ولا أنت أيضًا، كيف تصمتون على ما يحدث بالمعبد من دنس؟ كيف تسكتون عن فساد الكهنة؟ كيف ترعى الأغنام في معبدك؟

دخلت تي تي بسرعة إلى غرفة إيزيس إثر سماع صوت ارتطام التمثال وتحطمه وربتت على كتفيه وقالت: كفى يا أمي كفاكِ، لقد مرت ثلاثة أيام دون أن تأكلي شيئًا، ثقي أن الآلهة ستفعل شيئًا حيال ذلك، فقط الكهنة هم الذين لوثوا المعابد أنت تعلمين شرورهم من زمن بعيد.

"أعلم جيدًا هذا، لقد اخطأ مانيتون السمنودي حينما رأس مجمع الكهنة المصريين واليونانيين ووافق على ضم الآلهة المصرية مع الآلهة اليونانية فجمع بين زيوس الإله الإغريقي مع أوزوريس إلهنا المصري في سيرابيس.

ومن وقتها أحذ الناس في دمج الآلهة مع بعض، فآمنوا بحورس في صورة حربوقراط والكثير والكثير يا تي تي".

"ليس مانيتون فقط يا أمي، إن كهنة آمون منذ القدم وهم يفعلون الأمور السيئة ويتخذون من سلطتهم الكهنوتية نشاطًا للسلطة في الدولة والتدخل في الحكم غير الأمور التي تحدث في المعابد"

"أنتِ تهدئيني يا تي تي أم تثيري أعصابي؟"

" لا يا أمي فقط أوضح مدى اتفاقي معكِ، اطمئني، إن الأمور ستكون في نصابها الصحيح ثم إن لدى خبر سيجعلك تفرحين وتبتهجين"

"لا تقولي أن آمون قد أتى برسالة إلي"

"قلبك دليلك، إليك رسالة من ابنك" فمدت إيزيس يدها لتأخذ الرسالة ولكن سحبت تي تي الرسالة مرة واحدة وقالت: "لن تقرأي كلمة واحدة حتى تأكلي وتشربي"

فكشرت إيزيس وزوت بين حاجبيها وقالت: "لعنة أنوبيس عليكِ يا ابنة ستن" فضحكت تي تي وخطفت إيزيس منها الرسالة وهي تقول: "اذهبي واحضري لي الشاي بدلًا من الذي قمتي بإتلافه، حالما أنتهي من قراءة رسالة ابني"

ضحكت تي تي وأخذت توقد الحطب من جديد حتى تصنع الشاي وقالت: " أنتِ التي قمتِ بأتلافه لا أنا"

- وعلى الرغم من عبارة تي تي المستفزة وإن قالتها بسخرية، إلا أن إيزيس لم تنطق، فقد كانت تفض البردية التي تحوي رسالة من آمون، ولما نادت عليها تي تي أكثر من مرة ولم ترد، التفتت لتجد إيزيس ممسكة بالبردية وعيونها تجري بلهفة على سطور الرسالة والدموع تنهمر من عينها تحفر طريقًا على خدها فتسقط على البردية، مما جعل تي تي تقوم وتجلس جوار أمها تحتضنها، وتلقي بعينها على البردية لتقرأ مع أمها، وما إن مشت في السطور قليلًا حتى أطلقت شهقة مكتومة من أعماق نفسها، فما علمته من الرسالة كانت صدمة، صدمة مروعة ومدهشة، ستقلب وتغير مجرى الأحداث كلها.

"بعد انتهاء غذائكم يمكنكم قراءة البردية في فترة الراحة، ثم عندكم ساعة جلسة تأمل تكتبون فيها مشاهداتكم وملاحظاتكم عن الرواية لأننا سنناقش ما كتبتموه ونحن حول النيران في جلسة رائعة وجميلة سوف تعجبكم، نحتسي الشاي ونتكلم في السادسة مساء"

هتفت أحلام بصوت مرتفع "هيلانة انتهت من نصف الرواية يا قائد"

ردت هيلانة بسرعة: "لا لم أصل إلى نصفها بعد لا تنصت يا قائد"

رد الصالح: "عاااش، تحية كبيرة عندنا قائدة هنا انتهت من نصف الرواية هيا تشجعوا"

"لم يحدث يا كابتن"، ضحك الصالح لا تغضبي هذا للتشجيع.

اهتم الجميع بالقراءة بعد كلمات الصالح فأخذت فاتن نسخة روايتها وأخذت تقرأ في الخيمة واتخذت أحلام ومنتصر وسالم القاعة الصغيرة مع تشغيل موسيقى هادئة يحتسون مشروبًا ساخنًا، جلست هيلانة وحدها على صخرة بتل بالقرب من آخر حد للمعسكر، دينا كانت قريبة منها.

جلس الصالح وسيد وملك يتناقشون في أمر ما.

أما أنا فكنت أراقب الجميع وأتفقد أحوالهم قبل أن أجلس على كرسي في الطرقة المؤدية إلى طرقة القادة وأكمل تجهيز المحاضرات القادمة بالمعسكر، لقد بدأ الجميع في مقدمة الرواية أما هيلانة فكنت أعلم ماذا تقرأ، فقد شاهدت عيونها تجري بلهفة على سطور الرسالة والدموع تنهمر من عينها تحفر طريقًا على خدها فتسقط على صفحات الرواية.

حزنت لما رأيت، فأنا أعلم ما جعل هيلانة تبكي منذ قراءة الكلمات الأولى.

الرسالــة

تلك التي رفضتني بكلمة وأنهت كل شيء بمثلها، تلك التي شعرت يومًا أنها كل شيء وحقًا قد كانت كل شيء حلو، كل شيء مريح، كل شيء يسعدني ويملأني سرورًا وبهجة، ينشر في أيامي الفرح، تساميت عن الكثير بمحبتها، نسيت الكثير من الأوهام تبدد الظلام حينما أعلمتها بحبي، أشتاق لحديث إليها تلك التي تؤنس وحدتي وكانت تبدد وحشتي إذا جلست وحدي وتذكرتها فينقشع ظلام الوحدة وإذا جلست بين الناس وتذكرتها فأسرح متأملًا في سماء العشق ليدرك من حولي أني بخواطر الحب أتأمل، كنت حينما أسير بجانبها أشعر وكأني أسير بجانب البدر، أتحدث إليها لا لكي أفضي بكلماتي على مسامعها ولكني أشعر أني أملأ نفسي لأذنيها، أشبع كياني لا حواسها.

اااااااه حينما هي تتكلم أنصت، وكأنني امتلأت أنعامًا وأنغامًا، أسمع بإطراب، بحنو، وأنصت إليها بسلامة وراحة، هذا ما كنت أشعر به إذا سرت بجانبها، أما في جلستها دلال مسطور في صفوف بكرسي مطمور برمل في شاطئ على بحور العشق، إذا ما ملأ العشق بحورًا وهل تكفي الأنهار ملؤها حبًا وعشقًا!

دمرتني، رفضتني بجفاء قلب، وقساوة أحشاء، وجمود عقل، ولسان سوط، رفعت جبلًا بيني وبينها، سطرت كلمات الجبروت على صفحات الحنين.

أحكي لك يا أمي، لأنه في حوارنا الأخير قبل أن أسافر كنتِ تسألينني عن كيف أنا نجوت من الموت والفتاة التي كانت معي؟ وهو ما لم أسطره

بعد في مذكراتي.

أحكي لك، لأني أريد أن أخرج ما في نفسي من آلام أشكوها وأتألم منها.

أقص لك يا أمي إيزيس العزيزة على قلبي ما كان، وما كان عندها كان، أما عندي فكائن لا يُمحى بزوال الأزمان فما قلبي من حب يتأجج بنار لا تُطفأ ولو ببحور العالم كله،

كنت وما زلت كما تعلمين قائدًا في جيش مصر وكانت تحاربنا مجموعة من المسلحين من قرية صغيرة تحكم ممفيس ويعسكرون في صحراء بلادنا الشرقية وفي ليلة من ليالي الحروب اللعينة كنت أجلس وحدي في الصحراء والليل سواد من حولي ولا يضيء غير شعاع من بدر أعظم الأضواء، كنت أكتب شعرًا وقصائد تحكي محبوبي المجهول بين الأمراء، فوجدتها أمامي، وجدت الأميرة الجميلة، وجدت هيلانة الحسناء، كانت كما فوجئت بأنها ابنة أبي سعد قائد قرية المورس التي تحاربنا وكان ذلك وقع الصدمة بالنسبة لي قاسيًا ولكن الحب لا يعرف أرضًا ولا عرقًا ولا أنساب ولا ألقاب، ليس له حدود ولا طبقات، الحب نسيم في الهواء يطير لا يعوق جبلًا أو تلًا أو درجات فتلاقى قلبانا دون النظر إلى حرب أو دماء.

استغاثت بي من الأسد فضربته ثلاث ضربات وملأنا دلوًا من بئر ومشينا خطوات وتسامرنا بأقاصيص وروينا حكايات وبعذب الكلمات كنا نهمس، فالحب لوعة والفؤاد يهيم بالفؤاد فيطيب ويهدأ نبضه.

وقعت في الأسر وقدمونا للحكم، فَحَكَمَ الجافي بقتل ابنته وقتلي في ميدان عام، وفي ساحة واسعة تراص الناس يشاهدون نهاية قصة عشق وحب نما في ليلة واندثر في أخرى.

هيا يا حبيبي إلى الموت هيا لنسبح بضحانا

هيا يا حبيبتي إلى الموت هيا لنسبح بضحانا وكنت واقفًا أمامها وحولنا الناس في دائرة والملك في مبنى أعلى منا وجلادًا خلفي وجلادًا خلفها وحبل المشنقة أمام كلينا ويد جلادينا على ذراع الخشبة تحت أرجلنا، تلاقت عينانا لحظة قبل أن يغطوا رأسنا بقطعة سوداء وهتافات الناس تصرخ بتنفيذ العدل، تتداخل مع هتافات بالرحمة على الشباب والإحسان للصغار، وغطى رأسي جلاد اسمع أصوات أنفاسي منتظرًا الخشبة أن تهوى من تحتي ليتأرجح جسدي في الهواء.

من بين القطعة السوداء أرى طفيفًا من تحتها ونادى المنادي ولكني سمعت أرجل الخيول تأتي من بعيد، وطبول الحرب تضرب، وهرج ومرج بين الناس، ورأيت ذراع الخشبة تنزل من عند محبوبتي ولكن وسط الزحام الشديد لم أرَ جسدها يتحرك، وقعت على أكتاف الناس والسيوف تصل وجلادي هارب وضربة على رأسي فأدور وأسقط واقفًا مكاني ولم أدرك شيئًا إلا بعد حين،

كنت أظن أني مت وأنها ماتت ولكني حينما أفقت وجدت نفسي في سريري العسكري وحولي جنودي يهنئونني ويحمدون الله على أني حي.

ظننت ما أنا فيه حلم ولكنه لم يكن حلمًا، فحكى لي طبيبي ما حدث.

وقد هجم قومي وجيشي عندما كنت في الميدان أحاكم وخلصوني من يد الأعداء وضربني على رأسي أحد عبيدي ليسهل حملي على جواده فدخلت في غيبوبة ثلاثة أشهر، أثناءها قتل جيشي الغوغاء وملكهم، وعاد السلام لقطرنا المصري، ولكن خبر وفاة قائد الجيش جاء كالصاعقة، ففقد مات بعد شهر واحد إثر جراحه وحزنت كل الكتائب وحتى أنا لم أستطع

أن أقف في جنازته العسكرية أو أبكي قبره.

وجاء المعزون يعزوني ويهنئونني بقيادتي للجيش، فاجتمع الحزن بالفرح، وسط هذا كله كنت أخشي أن أسأل عن الأميرة هيلانة، شفيت من السقم وكنت أستلم مقاليد المعسكر، أريد أن أخبرك يا إيزيس بأنه قد مرت ثلاثة أشهر أخرى حتى استطعت أن أفيق من زحام الإدارة وفهم كل عناصر الجيش، انتهزت فرصة استقرار الفرق وسألت مساعدي عن الأميرة هيلانة التي كانت محكوم عليها بجواري: هل قتلت؟ كانت الإجابة لا، فيبدو أنها خلصت من حبل المشنقة لأن الحكم ينتهي بموت الحاكم، وقد مات الحاكم قبل المحكمة بلحظات، ولما سألت أين هي الآن؟ رد مساعدي: بالطبع عادت إلى بلادها ولم تقع في الأسر وقائد الجيوش أسر الرجال فقط وترك النساء والأطفال والشيوخ أحرارًا ليعودوا إلى ديارهم سالمين وأيضًا غانمين فحمل معهم جمال تحمل أحمالًا مما يطيب العيش لهم وسألت: وهل عقد معهم صلحًا قال: لا، بل قال لهم قائد الجيش رحمه الله: أقيموا لكم ملكًا وأرسوا قواعد دولتكم وابنوا جيشكم ثم ابعثوا لي برسول يبغي السلم ووقتها أعدكم بمعاهدة سلام حقيقية، وسألت: لم لم يمنحهم السلم وقتها؟ قال مساعدي: أنت تعلم قائد الجيش جيدًا، رجل لا يحارب الأعزل ولا يطعن في الظهر أحدًا وإن سقط درعًا من يد عدوه أسقط درعه هو أيضًا وإن سقط سيف عدوه سمح له باقتناء سيف كي يبارز الفارس فارسًا والبطل بطلًا وإلا لما انتصر، بماذا يفتخر؟ هل يفتخر بقتل من هو أضعف منه؟ بل يكون الفخر بانتصار على قوة أعظم منه أو على الأقل تساويه.

كنت أعلم قائد الجيش حقًا فهو نبيل وعلى خلق في فروسيته ولم

يخسر أيضًا أي معركة، وعدت أسأل مساعدي: هل رأيتها؟ هل سمعت عنها أية أخبار؟

سمعت أنها تزوجت يا سيدي، فقد كان هناك احتفالًا وطلقات نار منذ أيام وحينما أرسلنا جنودًا نستفسر عن ذلك لأننا ظنناها طلقات مدافع الحرب، قالوا لنا: إنها طلقات أفراح ابنة الزعيم،

صدمت لسماع هذا يا أمي، وآلم كثيرًا بقلبي ما حصل، فقد هجرتني اللعينة وتركتني، وقال لي مساعدي:

"سيدي، إن القلب لا يوجعه سوى قلب آخر، لقد ذهبت لحالها، فالحب يأتي بلا سبب، وبلا سبب أيضًا يذهب".

إليك يا أمي كل شيء قصصته عليك، ومعلومات هامة لم أسطرها في المذكرات التي تركتها لك، كما أيضًا كان يجب علي أن أخرج ما بداخلي من مشاعر دفينة وآلام.

لك مني كل حب وتحية، سلمي لي على أختي تي تي، أنتظر رسالتك.

آمون

قائد معسكر منف

ابنك

العام ٢٠٠٩ - محمية وادي دجلا
– اليوم الأول – غروب الشمس

حول النيران اجتمع الجميع، وبعد الصيحات والصقفات الكشفية التي بعثت جو المرح والبهجة في المكان، قام منتصر بتوزيع الفشار والذرة على الجميع، بعدها تقوم كل مجموعة بعمل الشاي على النار.

افتتح القائد الصالح الكلام، "من قرأ الرواية؟" باستفهام ولم يرفع أحد يده حتى ضحك وسأل مرة أخرى "من قرأ حتى رسالة آمون إلى إيزيس عن الفتاه".

رفعت هيلانة يدها وحدها.

دعونا نتحدث عن هذا الجزء وأترك لأخي وصديقي العزيز القائد يوسف يكمل الجلسة معكم و سيقوم العريف منتصر بتوزيع الرسالة عليكم الآن اقرأوها جيدًا وبهدوء شديد.

هكذا تكلم الصالح، وتقدمت لأدير الحوار مع طلبة الكشافة في جلستنا حول النار.

"هل نقرأها في مجموعات" قالت دينا

"لا، أريدكم أن تقرأوها كل على حدة"

"هل هناك سبب لهذا؟" قالها مازن بلهجة استنكار كعادته.

"أبدًا.. فقط أريد أن يدقق كل واحد منكم في كلمات هذه الرسالة؛ لأنها مختلفة عن باقي الرسائل والأحداث السابقة، وبها الكثير مما سيعجبكم.

رد عاكف بعدما رفع يده للاستئذان "ما الوقت المسموح للقراءة"

قلت "أمامكم ١٥ دقيقة، تفضلوا"

بدأ الصمت يظلل على المكان، لا شيء سوى تأجج النيران وهي تحرق الأخشاب وصوت الليل الهادئ وصوت زفرات القادة وهم يقرأون الرسالة في تركيز ونهم، وجلست أنا أمسك بالرسالة لأقرأها معهم على الرغم من أني قرأتها كثيرًا إلا أنني أريد أن استرجع المشاعر التي تتخلل الكلمات مرة أخرى ولا أشبع أبدًا من قراءتها وأريد أن أشارككم مشاعري والتي تولد الآن من جديد، جلسنا نقرأ وقرأت معهم الرسالة هنا ولكن أثرها لا ينتهي أبدًا من وجداني، رفعت عيني عليهم لأجد الجميع تغير وتبدلت وجوههم، فمنهم من يبتسم ابتسامة الرضا ومنهم من سرح بخياله بعيدًا، يمكنني أن أجزم أنه يحاول أن يتخيل مشهدًا من الرسالة فيشعر بدفء معين من الكلمات، حقًا إن للرسالة مفعول السحر ولو كانت مخطوطة من آلاف السنين.

"هيا نبدأ" قلتها بقوة وحزم مع ابتسامة لطيفة وكأنني أوقظهم من سباتهم العميق".

"أصبتني ذعرًا يا أخي" قالها مازن وهو يلوح بذراعه معترضًا.

"اتركنا قليلًا" قالت فاتن وهي تسرح بخيالها وكأنها ما زالت تعيش مع رومانسية الكلمات.

فأمسكت أحلام بذراعها وأخذت تربت على ظهرها محاولة أن تفيقها من غيبوبتها قائلة بشيء من الهرج "أفيقي حبيبتي ليس أمام الناس هذه الرومانسية".

"هل هكذا تنهين الأمر" قالت ذلك دينا بشكل من النحنحة.

دعوني الآن أشرح لكم كيف سنقوم بدراسة الرسالة لنخرج منها بالمبادئ القيادية التي نريدها

أولًا: سنلقي الضوء على جزء معين من الرسالة نستقطعه ونقرأه ثم نطرح بعض الأسئلة، لتكون محور النقاش بيننا وخلال ذلك سنخرج بأفضل النتائج.. من يرى معي ذلك؟

"أرى أننا سنصل إلى حارة سد" قالتها أحلام بضحكة صفراء مبينة أسنانها البيضاء تشع ضوءًا وسط ظلام الليل فهذا طبعها توقع البلاء قبل وقوعه.

فجاء رد فاتن عليها:

"لماذا هذا يا أحلام؟ ألا يوجد مرة تتفاءلين خيرًا؟"

"هيا يا قائد نحن معك" قالتها دينا وهيلانة بصوت واحد ثم نظرا إلى بعضهما يضحكان، يتعجبن كيف نطقا بالجملة في آن واحد. قلت لهم اخترت أنا السطور التالية.

"سيدي إن القلب لا يوجعه سوى قلب آخر، لقد ذهبت لحالها، فالحب يأتي بلا سبب، وبلا سبب أيضًا يذهب"

والآن ما رأيكم فيما قاله هذا الجندي؟

"ليس صحيح تمامًا فالحب له أسباب" قالها مازن بحدة وحماسة شديدين.

ردت فاتن بسرعة شديدة "أنا لا أرى أسبابا في الحب، فأنا الآن أحب، ربما غدًا لا أحب، ولا أعرف الأسباب"

وجهت السؤال إلى عاكف: "وما رأيك؟" بعد أن تنحنح قليلًا ورفع

نظارته عن أنفه وأصر على سكوت الجميع إذ لاحظ أن دينا وهيلانة يتهامسان ولكن رجل مثل عاكف لا يمكن أن يتكلم ويتهامس أحد أثناء ذلك، فعلى الجميع أن ينصتوا وهذا ما حدث فقال:

"يمكننا أن نقول أن الحب له أسباب معينة تأتي من إعمال العقل بعد إعجاب الشخص بآخر، فالعقل يريد أن يحمي هذه المشاعر أو العاطفة من الضياع فيحاول أن يطمئنها بغلاف من المنطق والمبررات اللازمة لتأكيد هذا الذي ظهر به منذ فترة، فالعقل دائم السؤال ما هذا الذي يحدث؟ وكيف ولماذا؟ .. إلخ، ربما المشاعر تبدو أنها بلا سبب ولكن حينما يتدخل العقل ويمنطق الأمور وتصبح هناك أسباب يكتمل هنا الحب فالوقوف عند المشاعر وحدها ليس حبًا وإذا اكتملت المشاعر بأسباب العقل اعتقد أن هذا هو الحب، هل يفهم أحد شيئًا؟

...وجه عاكف السؤال للجميع وبصوت عالٍ حينما أدرك أن كلامه كان كثيرًا وربما ثقيلًا على آذان الناس وخصوصًا أنه تثاءب نصفهم.

"بالطبع لا" قالتها أحلام بنفس الضحكة والتي لا تعني شيئًا.

"التبسيط رجاء، ارحم عقولنا الضعيفة" دينا نطقتها من أعماق قلبها وهي تضحك أرضًا، فالخجل يكسوها دوما.

"انظر، نصف الكلام لم أفهمه والنصف الآخر أشعر أنه عميق، وفي المجمل أشعر أنك تقول كلامًا مفيدًا" قالتها جميلة وهي تضحك.

فرد عليها مازن: "نعم هذا الرجل يقول كلام مثل الفل" وضحك الجميع.

فَهَمَّ عاكف بشرح ما قاله فعليت صوتي مقاطعًا إياه إنقاذا للموقف.

"أتقصد يا عاكف أنه تتكامل المشاعر مع العقل يكون الحب كاملًا وحقيقيًا ومن هنا أنت تريد أن تقول أن الحب له أسباب، هل هذا صحيح؟"

"صح جدًا يا قائد وأوضح أيضًا أن العكس صحيح فإذا ذهب فله أسباب أيضًا فالكراهية تكامل بين المشاعر والعقل.

رفعت هيلانة يدها تريد أن تقول شيئًا، أذنت لها "لكن عذرًا، أريد أن أقول شيئًا: أنا أوافقك جيدًا يا فوزي على الجزء الأول من سببية مجيء الحب وأيضًا سببية ذهابه ولكن لا أتفق مع بطلة الرسالة في أن الحب بلا سبب يأتي ولكن أنا معها في أنه بلا سبب يذهب وفي نفس الوقت لا يكون كراهية مثلما قال عاكف لقد جاء بسبب وذهب بسبب وليس شرطًا أن يحل محله كراهية، فقط لم يعد موجودًا".

قاطعها عاكف معترضًا: "طالما لم يعد الحب موجودًا فبالتأكيد مكانه كراهية"

هيلانة محتدة: "ليس شرطًا".

عاكف محتد: "كيف هذا؟"

ردت دينا مدافعة عن هيلانة: "هذا رأيها ولا تحجر على ما تقول"

ووصلت المناقشة إلى ذروتها حتى تدخلت:

"فلتهدؤوا يا شباب دعوني أستوضح الأمور ببساطة، أولًا: أنا سعيد جدًا بهذه المناقشة الجميلة ثانيًا: نحن هنا لنتعلم من بعضنا ونستفيد من الآراء المتبادلة ثالثًا: قطعًا ومؤكدًا آراؤنا مختلفة.

عاكف يرى أن في الحب يتكامل القلب مع العقل بأسباب يأتي وبأسباب يذهب ويحل مكانه كراهية.

ترى هيلانة وتؤيدها دينا أن الحب يأتي بأسباب ويذهب بدون أسباب ربما فقط لأنه لم يعد موجودًا، مات كخروج الروح من الجسد، إذا كان هذا سببًا كافيًا للموت بالنسبة إلى عاكف فهو بلا سبب بالنسبة إلى هيلانة لم يعد موجودا وكفى، أعتقد هكذا أنتم متفقون؟

رد الجميع بهمهمات وابتسامات يبدو عليهم الاستمتاع والبهجة بالمناقشة ماعدا شخص واحد فقط.

"إنه كلام جميل ولكن ما علاقة كل هذا بالقيادة، نحن تاركون بيوتنا وأشغالنا لنأتي هنا في هذه الصحراء في الشتاء القارص لنتناقش هل الحب له سبب أم لا؟"

لقد قالها مازن بطريقة أفسدت الجو الجميل الذي كان موجودًا بالمكان وربما جاءت هنا المناسبة الملائمة لأحدثك قليلًا عن مازن، إنه بطبعه الحاد هذا يفسد الكثير من الأمور، وقح وكلامه مثل الرصاص، طلقات من كلمات غير مدروسة، لكنه صريح ويحب الاستقامة في الكلام وعلى الرغم من هذا كله فإنه يمتلك روح الدعابة، طوله يسمح له بهيبه بين زملائه، جسده رياضي، غاضب، ثائر، متمرد، جامح، وقح، سليط اللسان، قوي، يعمل بجد، لا يهدأ أبدًا، يفسد الكثير من الأمور.

قلت له بهدوء شديد ردًا على سؤاله: "سأقول لك يا مازن ما علاقة الحب بالقيادة، ربما دار جدلًا بيننا حول سببية الحب إذا جاء وإذا ذهب وهنا يجب أن أقول لكم: إن الحب لا يذهب، فإذا ذهب فهو لم يكن حبًا من البداية، أريد أن أتوقف هنا عزيزي القارئ لأصف لك ما رأيته في أعين هؤلاء الشباب، بينما أنا أقول تلك الكلمات، لقد رأيت عيونًا جميلة مفتوحة عن آخرها مترقرقة من دمعة صغيرة تلمع من ومضات النيران المشتعلة في، الوسط لتنير هذا الظلام الدامس، و أن تعلن عن صدمة صاحب العيون الجميلة كأني ألقيت بقنبلة أمام أعينهم، أتخيل ما يدور في أذهانهم من أسئلة محيرة، ترى ما هذا الذي كان؟ هل ذهب هكذا؟ دون رجعة، دون وداع، دون أن يعرفنا بنفسه، كل هذه الأسئلة

تزرع فيهم المبادئ القيادية دون أن يشعروا أنا أعشق القيادة وأحب هؤلاء الشباب، إنهم الآن يحفرون في عقولهم أفضل شيء في حياة القائد وهو الحب.

أعود مرة أخرى لما كنت أشرح للشباب، فكنت أسترسل وأقول: نعم، لم يكن حبًا من البداية، فالحب اختيار، الحب قرار، يؤخذ في الوقت الصحيح، لا فائدة من القول دون فعل، أتذكر أحد زملائي في العمل حينما بدا عليه الإرهاق الشديد وكأنه لم ينم جيدًا الليلة السابقة وحينما سألته رد بالإيجاب، فقد كان في سهرة ممتعه في إحدى المقاهي الليلية وحينما سألته عن زوجته، وكيف ترضى بذلك، قال لي: هي لم تعرف سوى أنني أزور أحد أصدقائي المرضى المقعدين ويحتاجني، إنني حقًا أحب تلك الفتاة" وقتها كنت أفكر في نفسي، تحبها ومع ذلك تظل خارج المنزل حتى هذا الوقت تمارس تلك الأفعال المشينة؟ تحبها وتكذب عليها؟ تحبها وتخدعها؟ أحد الأمثلة الأخرى بين القول والفعل هو أن يخبرني أحد أصدقائي ممن لديهم أطفال، إلى أي حد يحب أطفاله ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يوفر ساعة واحدة أسبوعيًا ليقضيها معهم.

إنني في عملي أواجه مدرسين قاسيين ومنكم من دخل في الحياة المهنية يرى الكثير من شراسة الشركات والتنافس والسلطة ونفوذ رأس المال في التحكم في حياة الآخرين واستغلالهم، فقد كان عباس أحد المديرين التنفيذيين في الشركة (أبو قلب حنين) هذا كان لقبه، فدائمًا يحدثنا عن أن الموظفين هم أفضل استثمار في الشركة وأنه يحب الموظفين هنا وكلمة (أنت حبيبي) كانت دائمًا تلقى قبل أن يسرد الكثير من المهام على سامعه وكأنه يضع السم في العسل في كل مرة، أحضر وأشاهد هذه المواقف،

كنت أنفجر غيظًا، مرة قلت لعباس: أحقًا أنت تحب الموظفين، تعال لنتحدث مع شاكٍ من قسم الموظفين لنر ما إذا كان هذا صحيحًا أم لا.

إن الناس يا أعزائي يتشابهون في قول الشيء الصحيح ولكن يجب أن نعترف أنني بينما أتقدم في العمر أصبح أكثر تأثرًا بما يفعله الناس وليس بما يقوله.

(أفعالك تصيح بصوت مرتفع للغاية لدرجة أنني لا استطيع أن أسمع أقوالك) قالتها فاتن وهي مبتسمه لتعلن أن قائلها هو رالف واندر إمبيرسون واسترسلت: "أعتقد حقًا أن الأفعال أهم كثيرًا من الكلمات دون جدوى" وهذا ظهر في قرار هذه المرأة في الرسالة حينما طعنت قلب الذي يحبها بكلام جارح.

لقد كنت تسألني يا مازن ما علاقة الحب بالقيادة، والآن أظن أنك قد أدركت أن الحب اختيار، الحب قرار يؤخذ في الوقت الصحيح، هكذا أيضًا القيادة اختيار، قرار يؤخذ في الوقت الصحيح، أن تفعل أكثر مما تقول، القيادة هي أن تفعل الشيء الصحيح.

"سأذهب إلى آمون يا أمي"

"هل جننت يا تي تي"

"لن أتركه وحده مكتئبًا هكذا"

"يا ابنتي هو يحكي في رسالة عن شيء مضى ومن المؤكد أنه قد نسيه"

"هو في حاجة إلي، أنا أخته وأعلمه جيدًا"

"أتظنين أنني لا أريد أن أذهب إليه، أنا أيضًا أم، إنك تقولين هذا حتى لا أعلن عن سفري له، أعلم ذكاءك ودهاءك"

" لا يا أمي فقط اشعر به، فقد مر على كتابته أيام ولم يرسل لنا شيئًا، ثم أعلم أنكِ لن تكسري حلفك بأنه لن يرى وجهك ثانية"

"لا تستفزي غضبى يا تي تي"

"أماه أنتِ تحبينه فهو ابنك وسندك"

"ليس الآن يا تي تي، ليس الآن، شدي الرحال واحملي له رسالة مني كنت سأرسلها مع المرسال ولكن اذهبي أنتِ بنفسك واطمئني عليه وحينما تعودين إليه سأرى وجهه في عينيكِ فصفحات البردي لا تنبئ بشيء مثل ما تكشف العيون، هيا من الغد وأنت هناك"

شدت تي تي الرحال ذاهبة إلى منف، وأثناء الطريق ظلت تفكر في ذلك اللقاء الذي سوف يجمعها بآمون كيف سيكون؟ وكيف سيتلقى الصدمة عندما يعلم؟ وهل سيسامحها؟ كان تحدث نفسها بمثل هذه الكلمات.

"بالطبع يجب عليه أن يسامحني فقد فوجئت مثلي مثله، وإن كنت عرفت قبله؟ لا، لقد أخطأتِ يا تي تي، كنت تكذبين عليه؟

لم يكن خطئي وحدي، ما كان عليه أن يحب امرأة من لقاء ليلة.

هكذا كان يدور داخل تي تي صراعًا مرًا لم تعرف كيف تتحكم فيه، ولو تعرف ما الذي دفعها لتسافر لآمون هل حقًا لتطمئن عليه كما قالت لأمها إيزيس؟ أم لأنها تشعر بالذنب ناحية أخيها؟ فتريد أن تمحوه بالاعتراف له على ما اقترفته؟ أم لأنها تريد أن تسترجع تلك الليلة الجميلة بالمعسكر عند البئر؟ أم هي حقًا تحبه وقد اشتد الشوق إليه وتريد رؤيته، أم هذا كله معًا؟ وأعتقد أنا أن كله معًا.

توقفت تي تي عن التفكير حينما لاحظت عيون الناس تشخص إليها، حبست أفكارها، وهامت بينها بعيدًا تنظر أو تتأمل المجهول الذي يجب أن تواجهه وبشجاعة.

٢٠١٩ – القاهرة – منزل يوسف سعد

"الطريق سيكون طويلًا على تي تي إذ أن التفكير في أمر كهذا يلهب العقل ويطيل من الدقائق، يجعها ساعات وأيام" قالت هذه العبارة زوجتي لي، فقد كنت أحكي لها عن رغبة تي تي في السفر لأخيها آمون واعترافها بخطئها، كانت زوجتي لا تعلم ما هو خطأ تي تي بعد ولكنها كانت تتعاطف معها وشعر بما تشعر هي، فقلت لها

"لعلها لأنها تمتلك روح القيادة، وأن تفعل ما تقول، إذ هي قالت أنها تحب أخاها، عليها أن تفعل شيئًا يليق بهذا الحب، ولعله أقل شيء أن تواسيه في محنته"

"وهل لأنني قائد أفعل أشياءً خطرة لمجرد أنني وعدت بشيء قولًا أو كلمة خرجت مني لحظة انفعال أو سعادة أو بهجة مرتبطة بموقف معين؟"

"سؤال جيد، هذا يرجع إلى الدافع الذي يحرك تي تي لفعل هذا الأمر"

"ماذا تقصد؟"

"دعيني أسألك، ماذا لو كنت مكان تي تي وأنتِ تحبين أخيكِ، وجاءت رسالة مؤلمة منه وهو في سفر بعيد، وتدركين تمامًا أنكِ جزء من هذا الألم أو أن هناك شيئًا ما خطأ، أستسافرين إليه أم ترسلي إليه رسالة، وتنتظري رده؟"

"بالطبع سأسافر له"

"رائع، وما الدافع لذلك السفر ومعاناة المخاطر؟"

"الحب، حبي له هو الذي يدفعني لتحمل أي مخاطر"

يومها وقفت فجأة قافزًا وأنا أصفق لها، ثم بسط ذراعي الاثنين كما يفعل الساحر عند نهاية تقديم فقرته التي أبهرت الجمهور وقلت لها بشيء من الفخر:

"وهذا هو القائد، فالقيادة هي الحب والحب هو القيادة"

العام ٢٠٠٩ - محمية وادي دجلا – اليوم الثاني – الساعة ١ ظ استكمال المعسكر

بعد جلسة النار بالأمس، ومناقشات الطلبة حول دروس القيادة، قمنا بألعاب مائية ثم العشاء والشاي ثم النوم، ثم جاءت المغامرة الليلية وحدثت أمور رائعة استمتع الجميع بها فقد مر الجميع بتجربة رعب هائلة ومغامرة لن ينسوها طيلة حياتهم.

استيقظ الجميع في اليوم الثاني وبدأ الإفطار والمحاضرة الأولى ألقاها القائد سيد، ثم شرح القائد سالم أعمال الريادة بالعصي وأنواع الحبال وكيفية تنفيذ معسكر كامل بأدواته باستخدام العصا والحبل.

تحرك الجميع بعدها إلى الساحة الكبيرة وسط المعسكر ليقوموا بتنفيذ أعمالهم وتقسموا فرقًا وكان بينهم ترابط وتفاعل رائع جدًا.

"عليك أن تمسكي بالعصا من الناحية المقابلة وتقومي بربط عقدة بسيطة وتبدئي بعدها عمل دورة مربعة"

تسمرت أحلام بعد أن نطق عاكف بالعبارة السابقة وهي تبتسم وتعلق عينيها عليه وكأنها تريد أن تقول له لماذا تعطيني أوامر بهذه الطريقة، لكنها اكتفت بإخراج لسانها مع ابتسامة، فرد عاكف يقول: "لا تنظري إلي هكذا، انجزي"

استجابت بمسك العصا وظلت تربط الحبل وهي تقول: "لقد تغيرت كثيرًا يا عاكف"

رد: "وهل تظنيني عاكف طفل زمان؟"

كان يرد بروح المرح والدعابة:

"أتتذكرين عم بطرس ومدحت وظلا يضحكان"

"هل تتذكرين يا أحلام اليوم الذي اتفقنا فيه على أن ننتقم من أستاذة الرياضيات فكنت أنا أحدثها عن شيء ما في عملية حسابية وأنت وضعت العلكة على الكرسي لتلصق بها هاهاهاهاهاهاهاهاهاهاهاها هاهاهاهاهاهاهاها"

"نعم أتذكر ذلك جيدًا، كانت أيام"

تدخل سالم في الحوار "سنظل نضحك هكذا دون أن نقوم بعمل مفيد" وهو يبتسم،

رد عاكف: "يا قائد أنت لك أن تستلم معسكر مثالي بالمائدة يا محترم"

"محترم"

"نعم"

فقال سالم: "عاش يا قادة معكم ساعة واحدة وأستلم المعسكر"

وقبل أن يهم سالم بالتحرك كان مازن يرجع بظهره للوراء وهو يمسك بالحبل واصطدم بكتف عاكف، وقال له دون اعتذار: "أمسك طرف الحبل هذا يا عاكف"

فرد عاكف بغضب: "بيدي عصا وحبل ولست جاهز لمسك حبلك هذا"

"أمسك الحبل يا عاكف" رد مازن بعصبية، وهو يضرب كتف عاكف، ظنًا منه أنه بذلك يمزح وهو لا يعلم أن ذلك سيثير غضب عاكف أكثر وبالفعل أسقط عاكف العصا من يده والحبل وصرخ بقوة زلزلت الكون كله:

"يا حثالة الجبال، لا تلمسني، وإلا قطعت يدك"

"أنا حثالة؟ أتهينني أمام الناس يا عاكف"

"بلى، أهينك لأنك تستحق هذا يا ....." وراح يستكمل سبه إلا أنه تدخل القائد سالم ليهدئ من حدة الانفعال ولكن هذا لم يجدي شيئًا، حتى جاءت هيلانة من بعيد وقالت: ماذا جرى؟

فرد عاكف: "انظري يا هيلانة، السيد القائد يضربني بكتفي وأنا أعمل"

فقاطعه مازن: "لم أقصد أن أضربه يا هيلانة، كنت أمزح معه"

فقالت هيلانة بكل هدوء: "هل هذا فقط ما حدث، أنهوا ذلك الشجار فورًا وكل يعود لعمله" قالتها بشيء من الحزم يختلط مع المرح وكان لهذا الأسلوب مفعول السحر، فظهرا الاثنين وكأنهما وحوشًا تم ترويضهما، وبالفعل تقدم مازن ليعتذر لعاكف ومال على رأسه "أعتذر منك يا عاكف، أنت تعرف طبعي فلا أقصد أبدًا إهانتك"

رد عاكف: "لأجل خاطر هيلانة فقط سامحتك"، فضحك الجميع وذاب الموقف كلوح من ثلج

أو غيمة سحابة وجازت هكذا.

- كنت أقف على مقربة من القادة الصغار أشاهد وأتابع الموقف من بعيد، فعلى ما يبدو كان بين عاكف ومازن عداءً شديدًا لا أعرف أسبابه.

- وبين عاكف وأحلام ذكريات طفولة أدت إلى استمرار صداقتهما إلى الآن، أما الذي أثار انتباهي وإعجابي هو موقف هيلانة فكأنها ساحر قام ب "جلا.. جلا" انتهت المشكلة في الحال، أعجبت جدًا بأسلوبها وواضح أن لها تأثيرًا قويًا على الجميع والكل يحترمها.

لقاء آمون وأخته تي تي – الصدمة - الحب

طال الطريق عليها، حينما قررت أن تواجه بشجاعة أمرًا صعبًا وثقيلًا على أي امرأة،

وصلت تي تي المعسكر الكائن بالقرب من منف بحوالي 52 كم، وسألت على قائد الوحدة، فخرج لها آمون واستقبلها في حصنه، وأخذها لمكتبه.. وبدأت دموعه تنهمر.

نصبت محكمة الظلم في ساحة العشق، كانت فيها الجلاد والسجان والقاضي والسياف، لم تنظر أبدًا إلى هذا القلب الذي ينبض بحبها، كان ممتلئًا دماء وأكثر نضارة، منفتحًا من حمرة الوجد ملتهبًا بجمرات الحب، لا يهدأ، لا يسكت، ينبض بنبضات العشق والولع ولهفة المحبوب

حينما يشق فبشهيق حبها، وحينما يزفر فبزفير عشقها.

حينما يتنهد فبتنهد حبها، ويتأوه بفراقها.

"أخي اهدأ، وارفع رأسك حتى يراك الناس شامخًا"

" يراني الناس؟ عفا الله عن أن يروني، قد يشفقون علي أو يعطونني إحسانًا وإذا ما مر رجل ورآني بحالي تصعب على الأيام وأحوال الزمان"

"الزمان يمر ولن يعد ما حدث بالأمس، الشكر للآلهة على حالك"

"قد تشكري أنتِ الآلهة على حالك، إنه ليس مثل حالي، أو تلعني الأيام التي تقدر للرجال أحمالًا لا يستحقونها، يستهزئ المرء إذا ما مر بطريقي أو يضحك على أن ارتميت هكذا من أجل امرأة"

"تماسك يا أخي فلست أنت أول العشاق المهجورين، فكتب الحب

مليئة بالفراق وهم كثر"

"أعذريني أختاه فليس في كتب الحب ما يستطيع أن يسطر جرح جرحته امرأه لرجل وتكون السطور لها معنى أو حياة مثل ما ترى الجرح الحقيقي داخل هؤلاء الأحياء ولكنه لا يرى"

"كفاك يا أخي لا تحمل على نفسك الكثير"

"ليس على المرء لوم فيما يفعل إن كان يحب أو لا يحب"

"ولكنك تزيد جراح قلبك بكلماتك القاسية، الجروح تحتاج إلى بلسم الكلمات الطيبة، إنها طبيب شافٍ"

"يا طبيب الحب أعندك دواء يشفي ذاك الذي يدمي من صدري؟ ما من ترياق لديك ينهي تلك الآلام الشماء، صدق الذي قال: إنك لا تستطيع أن تقاوم الحب إذا جاء وإذا ذهب"

"ليس كل قلب كقلب امرأة يجرح رجل"

"رأيت يومًا كلبًا يعطف على ابنه بلسانه حتى التأم جرحه، ليس للمرأة قلب يعطف حتى كالكلاب".

"أنا أختك، تعال يا آمون في حضني، أكبرك عشرة أعوام وربيتك، أنا امرأة أيضًا وأشعر بما تشعر به، تعالى إلى حضني ليطيب قلبك"

"وهل يطيب القلب إذا ما سكب الطيب على الأرض؟"

"وهل انتهت القصيدة؟ هل ضاق الكون؟ أم ما زال للحديث بقية والزمان سطور، تكتب فيها الجديد من حياتك كما تشاء؟"

"ليس هناك أشد ألمًا من هجر وفراق الأحباء"

"تئن الأحشاء عند الرحيل وتنجرح الصدور يوم الفراق وتلتهب النفس عند العناق فهي تدرك أنها آخر لحظة، وتذوب العقول حينما تدرك أن ما

يحدث الآن يكون مجرد ذكرى حلوة بعد قليل، سوف تحترق العقول من ذكرى الأيام الخوالي تندلع نيران الحنين إذا ما طال البعاد"

"سوف تندم هي الأخرى على تلك الأيام الجميلة وكلما تذكرتها سيحترق قلبها"

"كل النساء إلا تلك المرأة، نسيت السالف من الأيام ولعنت حظها من الأزمان وكأن كل شيء ما كان، احتقرتني تلك الحقيرة، ونصبت نفسها أميرة".

"أليست هي عادت تطلب منك السماح؟ لن أقول لك انتقم فقط، أغلق هذه الصفحة للأبد"

"يا ليتها ما عادت فقد فتحت الجرح الدامي من جديد، الجراح تدمى بالتذكار"

"النسيان أعظم نعمة حبتها الآلهة للإنسان"

"ألم الزمان بحالي وما بحالي عزيز على أحد"

"الزمن يصبح ذكرى ولا نملك سوى اللحظة الحالية ولتبق يا آمون نفسك عزيزة عندك"

"الناس أشتات أشتات، أما قلبي أشلاء أشلاء"

"يفترق الناس ولكن قلوبهم متماسكة هذه هي ماهية الحياة"

"ليت الناس يعلمون ماهية الحب ويخبروننني"

"الحب أستاذ والحياة مدرسة"

"كنت تلميذًا أتعلم وأتأدب وما زلت"

"انظر، الحب جاء، الحب ذهب، مازلنا نسير ونتحرك"

"نسير في سلام والحرب داخلنا"

"حال القوم بحال تجاربهم"

"ومن ينسى تجربة ثقيلة"

"نسيان الماضي صعب ولكن العمل على تغيير نظرتك له ممكن"

"لماذا عادت مرة أخرى؟ هيا يا امرأة قولي أنك تحبينني"

"وهل هذا ما تنتظره؟ هل تظن أنها عادت لتقول أحبك؟"

"تقولها كما تشاء. لن أصدقها، أصبح حبها ليس له طعم وقرابته مرارة وابتلاعه علقمًا"

"لا يستطيع أحدًا أن يقول حكمًا أو يكتب أمثالًا إلا إذا نال وخزًا أو جرحًا أو تجربة قاسية"

"أو صفعة قلم من امرأة"

"وهل تنال الحكمة في بداية التجربة أم في نهايتها"

"أظن الذي تعلم الحكمة من البداية فلن يخوض بمثلها فهو الآن أكثر حكمة"

"ولكنه ليس أكثر حبًا"

"أما زلت تحبها يا آمون؟" هيا تكلم أما زال حبها يتحرك في قلبك؟

صمت آمون عن الكلام وجلس على منضدة ووضع وجهة بين كفيه يبكي، فاتجهت تي تي لتقوم بتشغيل الموسيقى، وبدأت تتمايل مع نغماتها ثم تحركت لتمسك يد آمون وتجذبه لينهض ليرقص معها.

"هيا قم وانسَ همومك"

"هم ليسوا مثلنا ولا مثل الآخرين، نحن فقط مثل أنفسنا"

"كف عن الحديث وارقص معي"

"يجب عليكِ أن تحترمي نفسك أكثر من هذا"

"وهل عيب أن ترقص أخت مع أخيها"؟

"لا، ولكن ليس الآن فأنا متعب"

وراح يجلس فجذبته لآخته بشده.

"وهل انتهى الكلام أم للحديث بقية " حاول آمون أن يجلس ورد:

"اطمئني لن أتكلم" فأمسكته ووضعت يده اليمنى على كتفها واليسرى على خصرها

"هيا يا رجل ارقص، إنه ليس وقت هزيمة"

بدأ آمون يستجيب لأخته وبدآ الرقص سويا، أخذت تي تي تتمايل بهدوء مع آمون برقصة كلاسيكية، فهو يحوط يده اليسرى بخصرها، ويمسك بيده اليمنى كفها ويتمايل معها، ثم يحركا أرجلهما خطوة ثم اثنين فخطوة فاثنين، وهو ينظر لعينها مباشرة مبتسمًا، أما هي فكانت تشعر بدفء حنان يده الملتفة حول خصرها، وتعتصر الأفكار رأسها كأنها سهام ورماح تطعنها، فكلمة صغيرة قد تؤدي لدمار كل شيء، فقد كانت تتخيل أنه ربما أن تلك اليد الدافئة يمكن أن تعتصرها حتى الموت، وأن الكف الرقيق الحنون الممسك بكفها قد يتحول على رقبتها ويخنقها حتى تلفظ أنفاسها الأخيرة، ولكن قد يكون هذا راحة لها من عذاب تأنيب الضمير، فالموت أهون بكثير مما هي تشعر به الآن، لذلك أخذت القرار، ليس فقط من أجل نفسها بل من أجل آمون، اختارت بشجاعة أن تنطق وتكف عن هذه المسرحية الهزلية، اختارت لأنها تحب، وقالت لآمون:

"آمون، أريد أن أقول لك شيئًا مهمًا" رد وهو يتمايل بجسده يمنة ويُسرة قولي يا أختي يا حبيبتي.

"أتعرف أن يدك وهي تحاصر خصري هكذا تذكرني برجل قوي

وجميل، أحببته"

"ومن هذا الرجل الذي كسب قلب أجمل أميرات الإسكندرية؟"

سحبت تي تي يدها من كفه ووضعتها في سترتها لتخرج صندوقًا من الخشب به أوراق توت جافة وقالت: "رجل أعطاني هذا الصندوق" وقدمته له.

سحب آمون ذراعه من خصرها، وهو ينظر إلى الصندوق ويقول: "من أين حصلتِ على هذا الصندوق؟ إن به أوراق من شجرة توت كنت قطفتها وأعطيتها لهيلانة عند البئر تحت ضوء القمر" وفتح الصندوق ليجد أوراق التوت فعلًا، ونظر لها في بهجة وابتسامة تملأ الدنيا

"هل قابلتِ هيلانة؟ قولي لي أين هي؟ هل مازالت حية؟ أين هي يا تي تي؟ انطقي"

"لا توجد هيلانة يا آمون"

"ماذا تقصدين؟ الصندوق هذا لم يوجد إلا مع هيلانة، هل تركته لأحد من أهلها قبل أن تموت؟"

" هي لم توجد أصلًا في الحياة لتموت" تغيرت ملامح آمون لتكسوها حيرة ودهشة،

"ماذا تقصدين؟ كيف لم توجد في الحياة"

وهنا بكت تي تي وهطلت دموعها، وكانت تصرخ: سامحني يا آمون سامحني، لقد كنت أنا، لقد كنت أنا هناك عند البئر، وقلت لك أن اسمي هيلانة، كذبت عليك، كنت خائفة من الحرب، ومن الأسد ومنك، فقلت: إنني هيلانة ابنة حور الممفيسي، لأنى أعلم أن أبناء الملوك لا يظهرن للناس قبل الزواج كعادة أهل منف، ولم أعلم أنك آمون أخي أبدًا".

وقعت الكلمات السابقة كالصاعقة على آمون، ودارت في ذهنه أسئلة كثيرة ولم يصدق ما قالت

"ماذا تقولين؟ هذا لم يحدث أبدًا لقد أحببت هيلانة" وتي تي تصرخ:

"لقد كنت أنا يا آمون، لقد كنت أنا وها هو الصندوق بيدك" فهمَّ آمون بمسك عنقها ليخنقها وهو يقول: "لست أنت؟ لا تخدعينني، لست أنتِ" وحينما استسلمت، أمال آمون رأسها جانبًا ونظر لعنقها أسفل أذنها اليسرى ليجد حسنة سوداء كبيرة، تلك التي رآها في الليلة المقمرة عند البئر، فانتفض وكأنه رأى ميتًا وتركها ورجع خطوة للوراء رعبًا، فقد تأكد أنها حقًا هيلانة التي رآها، فتي تي هي هيلانة وهيلانة هي تي تي.

وهنا جلس أرضًا وفك عن خصره سيفه وهو في غمده ووضعه جنبا، وظل ينظر في حسرة ماذا يعني كل ذلك؟ ويدور في ذهنه أسئلة كثيرة محاولًا أن يفسر ماذا حصل؟

العام ٢٠٠٩ - محمية وادي دجلا
– اليوم الثاني – الساعة ٣:٣٠
- زيارة القائد العام

اجتمع الجميع بالمطعم للغذاء، أثناء وصول القائد العام لتوه ليتابع بنفسه سير الأمور بالمعسكر بعد أن قام بتحية الجميع أثناء طعامهم، اصطحبني معه والصالح، نتجول ليبدي القائد العام رأيه ويضع تقييمًا له، وحينما وصلنا للخيمة الكبيرة تحركت كتلة كبيرة من الهواء اصطدمت بها وكادت أن تسقط الخيمة لولا أنه بحركة سريعة جرى بسرعة الفهد ومسك بالدقماق وقام بتثبيت الوتد أرضًا، ثم نهض ونفض يده من الغبار ودون أن ينظر لنا.

"ما هذا يا قادة، هل هذا معسكر كما يجب؟" ثم تحرك ليمسك منشرًا للملابس كان الطلاب صنعوه من العصي والحبال فسقط من يده وتبددت العصي لأنه لم يكن مربوطًا جيدًا، فكنا في حرج شديد أمام القائد العام، وكان سيد ينظر إلينا من بعيد، وبدأ يهرع إلينا إثر إشارة من يد الصالح، ووجه القائد العام ترحيبه بسيد "أهلا بك يا قائد سيد، ألا يجدر بك أن تعلم القادة جيدًا أعمال الريادة ؟ أم تحتاج لدروس جديدة بأنواع الحبال والعقد والربطات؟ "فتمتم سيد بكلام غير مفهوم، فأسكته القائد العام، ثم وجه سبابته إلى الصالح وقال: "سأحملك أنت المسئولية كاملة، وليس قائد المعسكر" فابتسم الصالح ابتسامة طفولية مستفزة

بمعنى "ليس لي صالح بهذا الأمر، وأنت كنت الصالح" وبدأ يضحك وسيد والحقيقة أنا أيضًا، مما استفز ذلك القائد العام ووجه كلامه لي: "ألست أنت قائد المعسكر؟ من فضلك لا تسمح بتكرار مثل هذا الهزل ثانية" أومأت إليه بالإيجاب واستأذنته أن نذهب أنا والصالح لمتابعة الناس في قاعة الطعام، وأن يأخذ جولته كما يريد مع القائد سيد ويسجل جميع ملاحظاته لنتحدث عنها عند عودتنا إلى القاهرة باجتماعنا في النادي.

ووافق على هذا وسار نحو التل ومعه سيد، أما أنا فاصطحبت الصالح وتوجهنا إلى المطعم وكان يغمغم "لا أعرف لماذا يوجه لي الكلام ويحملني المسئولية، ألست أنت قائد المعسكر؟ وسيد وسالم مسئولي التدريب؟، لماذا يوجه اللوم لي؟" قالها وهو يضحك ويستعجب من الحدث، وأثناء سيرنا ناحية المطعم وجدنا فاتن قادمة نحونا، فقال لها الصالح: "هل أكلتِ؟"

قالت: "بلى، أكلت جيدًا" قال لها: "إذا دعينا نستكمل الحديث ومعنا القائد يوسف يبدي برأيه في الأمر".

فتنحنحت واعتذرت وقلت: "لا، سأذهب أتفقد الباقي، وإذا احتجتم شيئًا نادوني،

ووجهت كلامي لفاتن:

"إن الصالح قائد جيد وله باع طويل في حل المشكلات وهو أقدر مني بذلك، أنصتي لنصيحته" وابتسمت وتركتهما.

"أيضًا لا أرى مانع من نقلي إلى الطليعة الأخرى، هناك أيضًا شخصيات صعبة ويمكنني أن أتعلم منهم"

"إن فعلنا هذا سنسمح للآخرين أن يغيروا هم أيضًا، ثم أنا قائدك وأقول لك: إن ذهابك هناك سيضرك لن ينفعك، صدقيني يا فاتن إن أحلام أخف حملًا ممن في الطليعة الأخرى"

"أتقصد مازن؟"

"لم أقصد أحدًا"

يبدو أن الحديث الذي دار بين الصالح وفاتن قبل طابور الأرض حول رغبة فاتن في نقلها لطليعة الثانية، ويظهر إصرارها ذلك لاستكمال الحديث مع الصالح ودفعة لموافقته على نقلها، والصالح بطبعه قائد محنك يفهم جيدًا في الناس، ويعلم أن فاتن وأحلام كانت تربطهما رابطة صداقة قوية لفترة طويلة من الزمن، بعدها تصدعت العلاقة ويدرك جيدًا أن السبب الأساسي هو جمود فاتن وعطاؤها الشحيح أشعر أحلام أنها تستنزف عاطفيًا، ومع علمه جيدًا بأن فاتن هي محور المشكلة إلا أنه كقائد لا يرفض أحدًا، بل يقبل الكل ويعلِّم ذلك لفاتن بأن تواجه المواقف مع أحلام ويشد إصراره على عدم نقلها لطليعة أخرى لفائدتها حتى وإن ذلك سوف يضر أحلام نفسها فترة، إلا أنه دائمًا يعرف ما يفعل.

"بلى، أنا أعلم جيدًا أنك تقصد مازن، أقول لك: إنه يمكنني أن أطيقه عن أحلام"

"فاتن، لا تعجبني أبدًا لهجتك هذه، إن أردتِ أن تكوني قائدًا صالحًا لا ترفضي أحدًا، وتعلمي كيف تتعاملين مع كل الناس"

"أهذا نهاية الحديث؟"

"الاحاديث أبدًا لن تنتهي، ولكن هذا نهاية نقاش نقلك للطليعة

الأخرى"

هنا نادى القائد العام إلى الصالح فترك فاتن وحدها،

فتقدمت هيلانة إليها، ما الذي يغضبك؟

"لا شيء يا هيلانة، الأمر أنني لا أطيق أن أتعامل مع أحلام، قد تأذيت كثيرًا منها" سكتت هيلانة قليلًا وقالت: "أتعلمين أن أحلام تحبك، لقد كانت تقول لي ذلك أمس أثناء المغامرة ليلًا"

"لا أصدقك طبعًا، كيف لها تحب وهي لا تعرف للعطاء معنى، تريد اهتمامًا وتواصلًا وسؤالًا وهي لا تسأل" "يا فاتن كل منا له عيوبه، وعلينا أن نحتمل بعضنا، هل يضايقك أن قلت عيب بك؟" "لا أحد يتضايق منك هيلانة، قولي أنا أسمعك"

"أنتِ تكونين جافة في أوقات كثيرة، لا تمنحين مشاعرًا، ربما أحلام تحتاج هذا، أنتما صديقتان منذ الطفولة وخسارة أن تفقدا هذه الميزة"

"عندك حق، كثيرات يقلن عني هذا، ولكن لا أستطيع أن أجامل، أقولها هكذا كما هي؟"

"القائد الجيد، مجامل من الدرجة الأولى، وأنا أرى فيكِ قائدًا جيدًا مستقبلًا"

"أنتِ التي قائد جيد، معك حق، سأتواصل مع أحلام وأتقرب منها لعلي أفهمها جيدًا"

"هذا هو الكلام الجيد، أسمع عنك غدًا أن الأمور أصبحت على ما يرام، أستأذنك أنا"

"إلى أين أنتِ ذاهبة يا هيلانة؟"

"سأذهب لاستكمال الرواية"

"وماذا عن الطعام؟"

"لقد أكلت"

- لم يهمني أبدًا كلام القائد العام، فأنا أعلم جيدًا أن المعسكر لا يتم تقييمه فقط على الخيمة والعصي والحبال، فالأهم مدى استفادة القادة وتدريبهم على نحو جيد، والمواقف التي تحدث بينهم تظهر حقًا القائد الحقيقي منهم، وتدرب الباقي على مبادئ القيادة بالتفاعل بينهم، فتلك الساحرة المهيبة هيلانة تمتلك جمالًا وحنكة رائعين، فموقفها في تصالح أحلام مع فاتن كان رائعًا، ازددت إعجابًا وولعًا بتلك الفتاة، وبدأت تتسلل إلى نفسى مشاعر من نوع خاص كان لا يجب أن تتسلل بهذا الشكل، سببت لي سرورًا من نوع ما. أدمنته في كل دقيقة من الساعات التالية.

- في الحقيقة شعرت بشيء ما يتحرك داخلي ناحية هيلانة، وخصوصًا حركتها الدؤوبة وإصرارها للحديث معي، جذبتني طريقة تفكيرها، وأطربني حديثها، وملاحقتها لي بين تل وجبل، ولكني سرعان ما نفضت هذا الشعور من رأسي، فالأمانة تتطلب أن لا يرضخ القائد لمثل تلك الأفكار، فلا يجوز أبدًا للطبيب أن يعجب بمريضته أو أن تكون

هناك علاقة ما بشكل أو بآخر، فتركت كل هذا جانبًا، وذهبت استكمل اليوم.

العام ٢٠٠٩ - محمية وادي دجلا
– اليوم الثالث – الساعة ١١:٣٠
صعود الجبل في الظهيرة

حينما قمت أتت هيلانة خلفي ونادتني: "يا قائد، يا قائد" فتوقفت واستدرت لها هازًا رأسي بما يعنى ماذا حدث؟

"كنت أريد أن أسألك عن ما يخص الرواية"

أنزلت الحقيبة عن كتفي ووضعت العصا التي بيدي أرضًا ورجعت للوراء خطوة ونصف وجلست على الصخرة ووضعت العصا جانبي وقلت وأنا أشير لها على الصخرة أمامي

"تفضلي"، جلست بدورها وهي تعتذر عن هذه العطلة "متأسفة لن أطيل عليك أكثر من عشر دقائق، فقط أعجبني جدًا تصرف تي تي، دورها قوي جدًا مع أخيها في أن تجعله يخرج من أزمته"

"نعم استطاعت أن تضمد جراحه بحنانها واهتمامها"

"لقد كان كثير الكلام والألم وكان يمنطق الأمور كثيرًا"

"أوجاع رجل رفضته حبيبته ثقيلة، إن النساء يستطعن أن يفعلن الكثير"

"ماذا تقصد بيفعلن الكثير؟"

"أليست محبوبته امرأة؟" "بلى"

"أليست تي تي امرأة؟" "بلى أيضًا"

"ولكن هذه جرحته وتلك طيبت قلبه"

وهنا كانت وصلت فاتن من درجة الجبل من أسفل وهي تتنفس وتنهج تقول: "علام تتكلمون ونحن صاعدون للجبل؟" وجلست بجانب هيلانة بعد أن ألقت كل أحمالها دون اهتمام.

قلت: "نتحدث عن تي تي أخت آمون، ومحبوبته تلك جرحت وهذه طيبت"

فردت هيلانة: "ولأنهما امرأتان مختلفتان فطبائع البشر متنوعة"

فسألت: "وهل إذا صادفت تي تي محبوبًا لا تريده ألن تفعل مثل محبوبة آمون؟"

"ربما حينما يتعلق الأمر بالحب يمكن أن تفعل تلك الأمور"

قالت فاتن: "نعم كل منا يتعرض للرفض كان على آمون أن يجتاز الرفض"

تضايقت قليلًا لكلمات فاتن ورددت عليها: "نحن نخطئ حينما ننسب الأمور السيئة للحب ونلصقها به، فالحب ليس هكذا إنه كل شيء جميل"

ردت فاتن مع ابتسامة بينت أسنانها المتفرقة "المرأة تفعل الكثير"

هيلانة: "قبل أن تأتي كان القائد يتحدث عن ذلك"

"نعم القيادة أيضًا تكون هكذا يمكنك في وقت ما أن تكون مثل أميرة آمون ووقت آخر مثل تي تي، لكن القائد الجيد عليه في كل وقت أن يكون بلسمًا شافيًا لكل المرفوضين

ووقفت حاملًا عصاي وقلت: "كفى ثرثرة، هيا بنا نصعد الجبل

ونستكمل في القمة"

تحركنا نحو قمة الجبل، ثم كان لزامًا علينا أن نسير خمسة كيلو مترات قبل أن نجلس تحت التبة المقابلة ونحضر غذاءنا هناك ونستكمل البرنامج ونعود قبل الغروب، وأثناء سيرنا اقتربت هيلانة مني وسألتني:

"أتسائل سيدي القائد هل هذه هي سمة عامة في القادة أنهم يظهرون عكس ما يبطنون؟"

"كيف؟ الرياء هو أن تظهر عكس ما تبطن"

"لا لم أقصد الرياء، أقصد أنهم يدارون جراحهم الداخلية ولا يظهرونها، ويظهرون فقط أنهم أقوياء، فربما يكون داخلهم حب ويظهرون كراهية أو العكس، فالقائد آمون في لقائه مع أخته كان يشتم محبوبته وينعتها بالحقيرة ويلعنها ويصفها بصفات بشعه ولكن في الحقيقة يبدو أنه مازال يحبها.

أدرت ظهري وتحركت قليلًا، كنت أفكر بالكلام واتكأت بعصاي على صخرة تعلوه درجة واحدة وقلت لهيلانة دون أن أظهر لها "نعم إن القائد يفعل هذا كثيرًا، أنتم مثلًا لا تعلمون الأتعاب التي تعبها القادة حتى تكونوا هنا في هذا المعسكر، ولا المعاناة التي عانوها أثناء التجهيزات ولا يهمهم أن تعرفوا، هم فقط يريدون أن تكونوا سعداء ومتدربين جيدًا وتعودون تحملون أفراحًا ودروسًا لما هم بعدكم مثل الأب في كثير من الأحيان لا تعلم الأسرة أبدًا ما يعانيه في عمله لكنهم يرون ثمرة تعبه في سد احتياجاتهم".

اقتربت هيلانة قليلًا مني وقالت: "ولكن أليس حقًا على الأبناء أن يداووا جراح آبائهم؟"

"ربما لا يستطيعون، فهم صغار أو ليس لديهم أوقات لفعل ذلك"

"ويمكن أن الأب لا يعلم"

"لا أعتقد، إن الأب يعلم جيدًا أن أبناءه في أمس الحاجة للعطف والحب والرعاية"

قالت هي: "أو ليس حقًا على الأب أن يحكي ويفضفض بجرحه لأبنائه"

"ليس على المرء لوم فيما يحب أو لا يحب"

وفجأة ونحن نتحدث تحركت صخرة صغيرة تحت قدم هيلانة اليمنى، فتدحرجت على التل الرملي وبدأت تسقط وتسقط محفوفة بالرمال مسافة كبيرة ما يقرب من كيلو مترين، فنزلت وراءها بسرعة وفي كل مجموعة أمتار أحاول أن أوقفها إلا أني كنت أتدحرج أيضًا وظللنا هكذا حتى انتهى بنا التل، وصدمت رأسي بصخرة اهتزت بعدها الدنيا قليلًا أمامي، ورحت أبحث عن هيلانة لأجدها شبه مدفونة بين الرمال، فنزعت عنها الرمل قليلًا قليلًا حتى بانت راسها وجسمها كله.

وكانت تسعل إلى أن شربت الماء من يدي وابتسمت "يا قائد أنا أحبك" وألقت بنفسها بين حضني.

كان الموقف مفاجأة بالنسبة لي، ضممتها لصدري لحظة ثم تذكرت في لحظة من الزمن كل شيء مر كشريط أمامي، القيادة، الوعد، الأخلاق، الالتزام، وبسرعة أقمتها، ونفضت الرمال عني وعنها وقلت لها هيا اذهبي مع باقي الفرقة.. وذهبَتْ، وذهبت أنا أيضًا.

الثلاثاء – اجتماع عاجل بمبنى النادي – تقييم المعسكر

كان قد اجتمع القائد العام بنا أنا والقائد الصالح وسيد وملك، وكان اجتماعًا عاجلًا قد دعا إليه القائد العام وكان في غضب شديد ظهر عليه في التحية وبدء الاجتماع وأول ما وجه كلامه وجهه إلى الصالح.

"أحملك أنت كل المسئولية، فلم أكن أبدًا أنتظر معسكرًا بهذا الفشل" بالطبع لم يكن المعسكر فاشلًا أبدًا، بل أثبت نجاحًا خرافيًا لم يصدقه أحد، وظهر ذلك من آراء الناس واستفادتهم من المعسكر وروحهم المعنوية المرتفعة وآرائهم على مواقع التواصل الاجتماعي وصورهم، إلا أنه تعودنا دائمًا من القائد العام على مثل هذا الرد من أفعاله فهو يظن دومًا أن هذا هو الأنسب حتى دائمًا نكون على القمة ولا نخطئ أبدًا، والواقع أن هذا كان يستفذنا كلنا ويثير الحنق داخل صدور القادة، فمن المؤكد أنهم لا ينتظرون أبدًا أن يسمعون هذه الكلمات بعد تعب ومعاناة شديدة إلا أنني يجب أن أعترف أن الوحيد الذي يستطيع أن يتعامل معه هو القائد الصالح فهو الأنسب في الرد ومواجهة مثل هذه المواقف، فرد عليه بوجه خشبي ثلجي:

"لماذا؟ أنا لم أرَ أي فشل في المعسكر، لقد كان ناجحًا جدًا والناس كلها تشهد بذلك" وتحمست ملك لتخرج من جوفها قليلًا من الحنق وتطلقه كالرصاص:

"عن أي فشل تتحدث أيها القائد؟ الناس في قمة السعادة، والكل مستفيد والجو عائد ببهجة، ثم لماذا تحمل الصالح مسئولية المعسكر،

لماذا لا توجه كلامك ليوسف فهو قائد المعسكر وهو المسئول عن كل شيء؟ "

في الحقيقة لا أعرف حقًا لماذا وجه القائد العام كلامه للصالح، فكان الأقدر أن يوجهه إلي أنا قائد المعسكر، لكن ربما لأنه يعلم أنه الوحيد الذي سيحتمل أسلوبه، أو اعتاد الجميع على توجيه الفشل أو الأخطاء إلى الصالح؟ لست أعلم، ورد القائد العام ردودًا لم تكن شافية

"هل تريدين أن تعرفي ما الفشل الذي أقصده؟" وبسط يده بالأصابع الخمسة وعد:

"أعمال الريادة لم تكن بالإتقان المطلوب، التأخير في فقرات البرنامج، المعسكر غير مؤمن بالشكل المناسب، نقص شديد في الخامات والأدوات، كسر القادة الكبار لقوانين المعسكر ....." قاطعه سيد صارخًا بكلمات كثيرة، وتدخلت ملك أيضًا بالحوار والصالح كان يلطف من الأمور، وتداخلت الأصوات ببعضها وعلت الحناجر، والكل يتكلم في نفس الوقت ولا يسمع أحد الآخر.

ووسط هذه المشاجرات والمشاحنات، كنت أنا صامتًا سارحًا بخيالي أفكر.

تشغلني عبارة "يا قائد أنا أحبك"، كان الألم يعتصرني من الداخل، كيف حدث هذا؟ كيف سمحت لنفسها أن تنطق بتلك الكلمة؟ وأخذت أحدث نفسي دون أن أنطلق بكلمة مسموعة لا، أنا المسئول عن هذا، لقد تحركت المشاعر مني إليها أولًا وهذا ما شجعها على ذلك ولكن متى تحركت هذه المشاعر؟ لا أعرف ولكن الشيء الوحيد الذي أعرفه أنني اقترفت ذنبًا ونكثت بالعهد الذي قطعته على نفسي يوم قررت أن أكون قائدًا، لا يصح أبدًا هذا أن يكون .... يعتصرني الذنب، ويضيق الأمر

بصدري، وفجأة.

وقفت بين القادة، بعد أن قرعت بيدي على الطاولة أمامهم، قاطعًا كل مشاحناتهم، وقلت: إنه آخر يوم لي بالكشافة، غدًا تكون استقالتي أمامك يا قائد، موجهًا كلامي للقائد العام، ولملمت أوراقي داخل الشنطة وخلعت منديل الكشافة، أثناء همهمات من القادة مثل انتظر، ابق قليلًا، سيكون كل شيء على ما يرام، لا تتركنا الآن، شيء مثل ذلك، هم يظنون أنني قدمت استقالتي بسبب تقييم القائد العام للمعسكر أو أسلوبه، ولكنهم لم يعلموا الحقيقة ولم أقدر أبدًا يومًا أن أصارحها لهم حتى بعد مرور سنوات حينما عدت.

خرجت لم أبالِ بأحد، وتركت غرفة الاجتماع وفتحت الباب حتى جرت ملك خلفي ووراءها خرج سيد أيضًا الذي قال: "انتظر يا يوسف مازال للحديث بقية" وقالت ملك: "انتظر نحن في حاجة إليك"، فنظرت لها وكنت ترجلت ثلاث درجات من السلالم وقلت: "لا، لا أستطيع البقاء معكم" فدمعت عين ملك وقالت: "ولكننا نريد بقاءك" فأبعدت وجهي عنها وقلت وأنا أترجل السلم: "وأنا لا أريد البقاء وسطكم" وتركت خلفي دموعًا، وهممت بالرحيل، فكنت أقصد أن أقول أنا لا أستحق أن أكون وسطكم، لقد أخطأت ونكثت عهد القيادة بخروج مشاعر مني إلى تلميذتي، لقد أحب الطبيب مريضته، نقض عهد المهنة وشرف القيادة، أنا لا استحق أبدًا هذا، وتركت النادي دون وداع.

الإسكندرية ١٧٥ م – بيت إيزيس – راقودة

"كيف جاءت لك القدرة لتقدم استقالتك من الجيش يا آمون؟"

"لا أستطيع يا إيزيس أن أستمر في الجندية، فالعسكرية كرامة والفروسية نبل، وأنا أمام نفسي فقدت كل هذا، فقد أحببت فتاة وعشقتها جدًا وكانت أختي، فكيف لي أن أكون موجودًا بين القادة الشجعان وأنا مهزوم من داخلي"

"ولكنك لم تكن تعرف أنها أختك ولا هي أيضًا، ثم إنها مجرد مشاعر تأتي وتذهب وترجع ثم تعود لتهجر، من شيم المشاعر الذبذبة وعدم الاستقرار"

"لا تستخفي بالمشاعر يا أمي، ثم ما حصل لا أعتقد أنه مجرد مشاعر"

"انسَ الأمر يا آمون، إنها أختك، وليس هناك داع لترك جنديتك في أمر لا يد لك به"

"لقد اتخذت قرارًا يا أمي، لقد اخترت، سافرت إليكِ فقط لأودعك، قبل أن أرجع وأواجه المعركة الأخيرة بمنف قبل إنهاء خدمتي، بعدها أسافر، أو ربما لا يراني أحد بعد ذلك"

"هل تريد أن تحرق قلبي عليك ثانية يا آمون؟ ألا يكفيك السنوات التي لم أرك فيها؟ لا تحرق قلبي عليك يا ابني يا ابن بطني"

همَّ القائد آمون بالرحيل وترك الغرفة والواقفين بها وفتح الباب حتى خرجت إيزيس خلفه وخرجت تي تي من حجرة مجاورة تلك قالت: "رجاءً انتظر مازال للحديث بقية" وقالت إيزيس: "انتظر نحن في حاجة إليك" فنظر آمون لها وكان قد ترجل الثلاث درجات من السلم وقال: " لا، لا أستطيع البقاء معكم" فبكت إيزيس وتي تي، ومشي آمون يفكر في نفسه، لقد أخطأت ونكست عهد القياد بخروج مشاعر عشق إلى أختي، لقد نقضت عهد الجندية، وها أنا ذاهب للمعركة الأخيرة.

المحاضرة الأخيرة

"فرقة انتباه... فرقة صفا... انتباه... تفضلوا بالجلوس، أعزائي الطلبة بالفرقة الأولى بمدرسة إعداد القادة أحييكم، وأود أن أعبر عن مشاعري بسعادتي الكبيرة بعد نجاح معسكر محمية وادي دجلا، لقد قبلت رغبة القادة في أن أسجل لكم هذا الفيديو بإلقاء محاضرتي الأخيرة بالكشافة بعنوان "القيادة الأكثر فعالية في العالم"

نزولًا عن رغبتي أنني لن أعود للعمل الكشفي، ولكن تحت ضغط القادة ومحبتهم الكبيرة وافقت أن تكون هذه المحاضرة الأخيرة، فقد تقدمت باستقالتي للقائد العام، ولا عودة في ذلك فكما تروني أظهر لكم مرتديًا الزي الكشفي بالمنديل الأزرق الذي اعتدته دومًا ولم أرتدِ منديل القائد، وإليكم كلماتي الأخيرة إليكم .....

المعركة الأخيرة

تقدم آمون جميع فرسانه في الساحة الفاصلة بين معسكره ومعسكر مدينة منف ووجه كلامه لقادة معسكره، يجب أن تعلموا أننا نواجه جيشًا ليس سهلًا، إننا نواجه وحوشًا ضارية، ولتعلموا أنه ثقيل علينا أن نتقاتل نحن أبناء وطن واحد فمنف هي أرض آبائنا وأجدادنا ونحن كلنا مصريين من شتى الأقطار، ولا أريد أبدًا أن تسقط نقطة واحدة من دماء أي مصري' دعونا لا ندع الرومان يدفعوننا لنتقاتل نحن أبناء الوطن الواحد، فقد وافقت على عرض حور الممفيسي في مواجهته منفردًا وسط ساحة القتال، فان مت بالنزال أصبحت شهيدًا وعليكم أن تسلموا أنفسكم لزعيم منف حور الممفيسي، وإن لم أمت لن أقتله' وسأرفع راية السلام أيضًا معهم.

ولن أعرضه هكذا دون معركة، فالفارس الحقيقي يقبل النزال ولو على حياته، ليدرك الجميع أننا على قوة نتخذ قرارنا لا عن ضعف.

حياه الجنود بهتافات عالية، وتقدم آمون بجواده نحو جيش منف، ليقابله حور الممفيسي بجواده الأبيض ويتقابلا في الوسط ونزلا الاثنين على الأرض ليسلما أحصنتهم إلى المساعدين، وللحظة تبادل آمون وحور النظرات وتأهبا للقتال

"أظنني تقابلنا قبل ذلك الحين" قالها حور بلهجة ساخرة.

ورد آمون: "كنت أتوق أن أراك منذ زمن، فبقلبي جرح غائر، وقبل أن أبارزك إليك كلماتي الأخيرة لك .....

٢٠١٩- منزل يوسف -القاهرة

"ألن ترتاح يا حبيبي، ألا يكفيك تعبًا في تحضير الدروس؟"

"بلى، حقًا أحتاج للراحة، الآن فقط أستطيع أن أقولك لك أنني سأرتاح قليلًا"

"ولكنك لم تكتب دروس القيادة في شكل نقاط أو حددتها بدروس واضحة؟"

"زوجتي، إن دروس القيادة تظهر في التفاعل بين الناس، بين كلماتهم، ومواقفهم، وقراراتهم، واختياراتهم، إن الرواية مليئة بدروس القيادة، وأردت كتابتها بالشكل هذا حتى يجلس القادة ويدرسونها ويستخرجون هم بأنفسهم المبادئ القيادية اللازمة لها ولحياتهم جنبًا إلى جنب مع الكتب الأخرى"

"ولكنك لم تكمل لي القصة، ماذا قلت في محاضرتك الأخيرة؟ وما هي كلمات آمون الأخيرة؟ وبماذا انتهت المبارزة مع حور الممفيسي؟ من الذي انتصر؟"

"يا زوجتي العزيزة لن أقول لك الآن، ربما في كتاب آخر، دعينا ننام الليلة، وعما قليل نهار يسطع، فغدًا لناظره قريب".

انتهى الجزء الأول